مَعَالِمُ عَقَائِدِيَّة

دِرَاسَةٌ فِي مَعَالِمِ (الإِمَامَةِ) وَ(العِصْمَةِ)
وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِمَا مِنْ مَبَاحِثٍ مُهِمَّةٍ

بسم الله الرحمن الرحيم

معالم عقائدية

دراسة في معالم (الإمامة) و(العصمة)
وما يتعلق بهما من مباحث مهمة

تأليف
الشيخ ليث العتابي

الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٨م
قطع الورق: ١٤,٨×٢١
المطبعة:
الناشر:
الإخراج الفني: أحمد الهاشمي

محفوظة جميع الحقوق

إصدارات مركز الرصد العقائدي

مَعَالِمُ عَقَائِدِيَّة

دِرَاسَةٌ فِي مَعَالِمِ (الإِمَامَةِ) وَ(العِصْمَةِ) وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِمَا مِنْ مَبَاحِثَ مُهِمَّةٍ

تأليف

الشَّيْخ لَيْث العِتَابِيّ

العتبة الحسينية المقدسة

مركز الرصد العقائدي

مقدمة المركز

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسّلام الأتمّانِ الأكملانِ على سيّدِ الأوّلينَ والآخرينَ وأشرفِ الخلقِ أجمعين، سراجِ المهتدين، والمبعوثِ رحمةً للعالمين، المصطفى محمّد وعلى آله الطّيبين الطّاهرين، وصحبه المنتجبين، وبعد:

انطلاقاً من قوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ (سورة فصلت ٣٣)، أخذ مركز الرّصد العقائديّ التّابع للعتبة الحسينيّة المقدّسة على عاتقه التّصدّي للشبهاتِ التي تَطال العقيدةَ الإسلاميّةَ بشكل عام، والتعريفَ بعقائدِ الشيعة الإماميّة بشكل خاص، مع التّصدي للرّد على كُلّ الشبهات التي تَطال المذهبَ الشّيعي خاصةً، هذا المذهبُ الشّريفُ الذي أسّسَ بُنيانه ووضعَ لبناته الأولى النبيُّ الأقدس (صلى الله عليه وآله وسلم) حين قال في حديث صحيح: (إنّي تارك فيكم خليفتين: كتابَ الله حبلٌ ممدود ما بين الأرض والسماء، وعترتي أهلَ بيتي، وإنّهما لن يتفرّقا حتى يردا عليّ الحوض) (صحيح الجامع الصغير بتصحيح الألباني، حديث رقم ٢٤٥٧)، وما تلاهُ من بياناتٍ وأحاديثَ متظافرة تحثُّ على التّمسّك والأخذ والمتابعة للثقلين (الكتاب والعترة) معاً، كهذا الحديث الصحيح: (إنّي تاركٌ فيكم ما إنْ تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر: كتابَ الله، حبلٌ ممدودٌ من السّماء إلى الأرض، وعترتي أهلَ بيتي ولن يتفرّقا حتى يَردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما) (صحيحُ سُنن التّرمذي

برقم : ٣٧٨٨)، وغيرها من الأحاديث الشريفة الصحيحة الواردة في هذا الجانب التي يكادُ المنصف أنْ يقولَ بتواتِرها، بل هي متواترةٌ فعلاً، لتظافرِ نقلها عندَ جميع الفرق الإسلامية على اختلاف مشاربهم الفقهيّة والعقديّة.

وكلّ هذه الرّدود إنّما تجري وفق أُسس علميّةٍ ومنهجيّةٍ سليمةٍ، بعيدةٍ عن التعصّب الأعمى والإنغلاق المقيت، فالعلم هو السّلاح الوحيد النافذ الذي يصحُّ الإحتجاج به، وما عداه لا قيمةَ له، وكما قال سيّد الموحّدين أمير المؤمنين مولانا علي بن أبي طالب عليه السلام: «قم بعلم ولا تطلب به بدلاً، فالنّاس موتى وأهلُ العلم أحياءٌ».

ووفقَ هذه المعطيات جاء كتابُ الشيخ ليث العتابي: «**معالمٌ عقائدية**»، والذي تناول فيه معلمين عقائديين مهمين هما: (الإمامة)، و(العصمة) وما يتعلق بهما من موضوعات كـ(الخلافة)، و(شروط الإمامة الحقيقية)، فجاء هذا الكتاب يتحدث عن معالم العقيدة، وركّز المؤلف فيه على أهم ما أُثيرت حوله الشبهات، وأرجأ باقي المعالم إلى محلها من الكتب الأخرى المختصة.

ولأهمية هذين المعلمين كان التركيز عليهما بأسلوب واضح وبعبارات مفهومة وبطرح علمين يحيط بهما ولا يتجاوزهما إلى غيرهما من الموضوعات الجانبية.

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، وصلّى الله على خيرِ خلقهِ أجمعين، محمّد وآله الطيبين الطاهرين.

مدير المركز
السيد مهدي الجابري الموسوي

المقدمة

الصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين حبيب إله العالمين أبي القاسم محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين

إن للكلام عن القضايا العقائدية خصوصيته الخاصة، تنبع من كون العقيدة هي الأساس الذي يبنى عليه دين الشخص، ومن دون أساس لا ولن يكون هناك بناء، أي لن يكون هناك بناء عقائدي فضلاً عن البناء العقائدي الصحيح.

وفي العقيدة الكثير من المعالم الرئيسية التي تعتبر الأساس في تحقق الإيمان الحقيقي بالعقيدة، فالعقائد تحتاج إلى إيمان عن يقين، إذ لا ينفع التقليد والإتباع والمجاملة فيها مطلقاً.

إن من معالم العقيدة الأساسية هي الأصول الأربعة الرئيسية والتي هي: التوحيد، والنبوة، والإمامة والمعاد. كما وأن هناك معالم مهمة في كل أصل.

في بحثنا هذا سنركز على معلمين رئيسيين من معالم العقيدة ألا وهما: الإمامة، والعصمة، وسنبحث كل ما يتعلق بهما من مباحث، إذ اننا لن نغفل عن بحث (الخلافة) لما لهذا المصطلح من فهم مختلف بحسب المدارس.

تناولنا في كتابنا الموسوم بـ(معالم عقائدية) عدة مباحث منها، الإمامة، وما يتعلق بها من النص على الإمام، وكون الإمامة لطف، وما يتعلق بالأسس المهمة لفهم الإمامة، وكذلك تطرقنا لموضوع علم الإمام، وأفضلية الإمام، ومن ثم إيراد ما أثير من شبهات على الإمامة والرد عليها.

كما وتناولنا مبحث العصمة، وأهميتها، وأنحائها، وما هي مؤهلات المعصوم، ومن ثم إيراد ما أثير من شبهات على العصمة والرد عليها.

وكذلك تناولنا موضوع العلاقة ما بين الإمامة والخلافة، وتوضيح المراد بالخلافة، والتطرق لرأي المدرسة السنية بالخلافة، وكذلك رأي المدرسة الشيعية بالخلافة، وما هي الخلافة الحقيقية، ومن هو الجدير بالخلافة، في سبيل إعطاء صورة واضحة عن الموضوع.

نعم، إن هناك الكثير من المعالم العقائدية التي يجب توضيحها، لكن لا يمكن توضيحها إلا وفق مباحث منفصلة، ووفق منهج بسيط في الطرح، وعلى شكل منهج تتابعي، وذلك خوفاً من الاشتباه في مواردها، ولكي يتسنى فهمها بسهولة ويسر.

هذا ما أوردناه في هذا الكتاب، وان شاء الله تعالى سيكون هناك مباحث عن معالم عقائدية أخرى، كل ذلك سيتم بعون من الله تعالى وتوفيقٍ منه لذلك.

والحمد لله رب العالمين

المؤلف

١٤٣٩ هـ ـ ٢٠١٨ م

الإمامة

إن من معالم العقيدة المهمة هي (الإمامة)، بل تعتبر أساساً مهماً في فهم العقيدة والإيمان بها الإيمان الحقيقي، وهذا يستدعي التعريف بها، والوقوف عند أبرز ملامحها، والمراد بها، وكيفية الاعتقاد بها، وهذا ما سنتناوله في مبحثنا هذا.

أولاً: الإمامة لغة واصطلاحا:

الإمامة في اللغة يراد بها: (الإمامُ ما أُتُمَّ به من رئيس وغيره، والجمع أئِمَّة)[1].

فالإمامة في اللغة هي الرئاسة العامة وكل من يتصدى لرئاسة جماعة يسمى (إماماً).

والإمامة في الاصطلاح فهي: (استمرار للنبوة، والدليل الذي يوجب إرسال الرسل وبعث الأنبياء هو نفسه يوجب أيضاً نصب الإمام بعد الرسول... إن الإمامة لا تكون إلا بالنص من الله تعالى على لسان النبي أو لسان الإمام الذي قبله)[2].

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج ١، ص ١٤٩.

(٢) عقائد الإمامية، المظفر، ص٦٦.

أما الإمامة في الاصطلاح فهي: الرئاسة والقيادة العامة الشاملة على الأمة الإسلامية في كل الأبعاد والجوانب الدينية والدنيوية.

وهذا ما وضحته كتب العقائد، وبالخصوص عند الشيعة الإمامية، فهي منصب يشترط فيه عدة شروط؛ منها النص عليه، والعصمة، كشرطين أساسيين، وهناك شروط أخرى أضيفت ذكرتها الكتب المختصة بذلك.

ويراد بالإمامية: (هم اتباع الأئمة الاثني عشر، من الإمام علي عليه السلام إلى الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ...)[١]. وهذا لقب قد أطلق على الشيعة، وبالخصوص من يقر منهم بإمامة اثني عشر إماماً ذكرتهم الروايات الواردة في تراث الشيعة الحديثي. (وهذه الفرقة من أكبر فرق الشيعة وتعتقد بالأئمة الاثني عشر بدءً بالأمام علي عليه السلام وختماً بالإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وسميت بهذا الاسم من البداية في مقابل السبعية التي تعتقد بإمامة سبعة أئمة فقط)[٢].

وعلى مستوى الفرق الشيعية؛ تعتبر الإمامية من أكبر فرق الشيعة على مر التاريخ، يتمتعون بمراكز علمية كبيرة ومشهورة في العالم الإسلامي.

وقد عرفتهم المصادر السنية بأنهم: (فرقة من الشيعة، قالوا بالنص الجلي على إمامة علي كرم الله وجهه)[٣].

إذن فالجامع المشترك للتعاريف هو؛ القول بالنص الجلي والإتباع

(١) مدخل إلى علم التفسير، جواد بو خمسين، ص ٥٩.

(٢) الشيعة رواد العدل والسلام، مجيد الصائغ، ص ٦٧ـ٦٨.

(٣) مفاتيح التفسير، أحمد سعيد الخطيب، ج ١،ص ١٧٢.

للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بعد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بنصٍ إلهي على ذلك، ومن بعده أحد عشر إماماً من ولده ورد النص عليهم بالاسم.

ثانيا: الإمامة وإكمال الدين وإتمام النعمة:

من المعلوم بأن الدين ـ الدين الإسلامي ـ قد كمل على يدي رسول اللّه صلى الله عليه وآله والنعمة قد تمّت، وإن اللّه تعالى قد رضي لنا الإسلام ديناً يقول تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[1]، ولكن متى رضي اللّه سبحانه وتعالى بهذا الدين واعتبره كاملًا وتاماً:!

في الجواب على هذا السؤال نرجع إلى الحادثة التي حصلت وسبَّبت نزول هذه الآية الكريمة التي نزلت في السنة العاشرة للهجرة وعند عودة النبي صلى الله عليه وآله من حجة الوداع عندما نزل جبرائيل عليه السلام بالآية المباركة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[2].

فما هو هذا البلاغ العظيم والمهم الذي توقفت عليه الدعوة وصحتها وتوقف عليه كمال الدين وجهاد ومعاناة النبي صلى الله عليه وآله والمسلمين طوال ثلاثة وعشرين عاماً، فعندها نُصب لرسول اللّه صلى الله عليه وآله المنبر وصعد عليه وقال صلى الله عليه وآله: «أيها الناس إن اللّه مولاي وأنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ألا من كنت

(١) سورة المائدة، الآية (٣).

(٢) سورة المائدة، الآية (٦٧).

مولاه فعلي مولاه اللهم والِ من والاه»[١]، وبعدها سلَّم المسلمون على عليعليه السلام بإمرة المسلمين.

فاللَّه تعالى ارتضى عن هذا الدين واعتبره كاملاً عندما نصَّب الرسولصلى الله عليه وآله إماماً وعندما جعل خليفة، يكمل دور النبوة في الهداية والرعاية. وهكذا كانت سنَّة الأنبياء السابقينعليهم السلام فإنهم كانوا يوصون إلى أوصياء بعدهم حتى لا يتركوا الأمة في فراغ بل ليهدوا الأمة إلى سبل الخير ويعرِّفوهم طرق التكامل والرشد.

ولقد أورد العلماء جملة شروط لا بد من تحققها في الإمام ليكون إماماً حقاً يهدي إلى الحق كما في الآية (٣٥) من سورة يونس المباركة، وهذه الشروط هي[٢]:

١ـ إن الإمامة مجعولة.

٢ـ إن الإمام يجب ان يكون معصوماً بعصمة إلهية.

٣ـ إن الأرض وفيها الناس، لا تخلو عن إمام حق.

٤ـ إن الإمام يجب ان يكون مؤيداً من عند الله تعالى.

٥ـ إن أعمال العباد غير محجوبة عن علم الإمام.

٦ـ إنه يجب ان يكون عالماً بجميع ما يحتاج إليه الناس في أمور

(١) بحار الأنوار، المجلسي، ج٢٣، ص١٤١.

(٢) ينظر: الجواهر النورانية، ص ١٦٩.

معاشهم ومعادهم.

٧ـ إنه يستحيل ان يوجد فيهم من يفوقه في فضائل النفس.

أما عن مفهوم الإمامة فإن الكلام يقتضي تبيين أسس ذلك، فالنبي صلى الله عليه وآله هو خاتم النبيين وأن الخلافة هي سنَّة مستمرة بين الأنبياء عليهم السلام حتى لا تخلو الأرض من حجة ولحفظ ما أنجزه الأنبياء وإتمام دورهم في هداية الناس إلى كمالهم الروحي والأخلاقي وكل ما يرتبط في حياتهم وآخرتهم ويكون ذلك على يدي إنسان يتمتع بنفس مواصفات النبي من الكفاءة والمؤهلات ويمتلك كل مناصب النبي إلا النبوّة والرسالة.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «اللهم بلى، لا تخلو الأرض من قائم للَّه بحجة، إما ظاهراً مشهوراً وإما خائفاً مغموراً، لئلا تبطل حجج اللَّه وبيناته»[١].

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «إن اللَّه لم يدع الأرض بغير عالم، ولولا ذلك لم يعرف الحق من الباطل»[٢].

أما في قضية من يختار الإمام فإن مسألة الإمامة ليست مسألة سهلة بل لها من الأهمية والخطورة بحيث لا يمكن أن يقوم بها وبمهامها إلا من اختصه اللَّه تعالى بصفات خاصة لذلك لم يترك أمر اختيار أصحابها إلى الناس، بل كانوا يعيّنون من قبل اللَّه تعالى على لسان من سبقهم من الأنبياء والأئمة عليهم السلام.

(١) نهج البلاغة، حكمة ١٤٧.

(٢) الكافي، الكليني، ج١، ص١٧٨.

قال تعالى مخاطباً النبي إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[١].

وهذه الآية المباركة تدل على أن الذي يتصدى لهذا المنصب يجب أن يكون مقبولاً ومرضياً عند اللّه سبحانه وتعالى لأن مسألة الإمامة هي عهد من اللّه وصاحب هذا العهد عليه أن يتمتع بصفات ومؤهلات كثيرة كالعصمة تماماً كما كانت شرطاً في النبوة، ويدل على ذلك:

١ـ الآية السابقة: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[٢]، تنص الآية الكريمة على أن الظالم وهو المرتكب للمعصية لا يمكن أن يصل إلى هذا المقام العظيم وهو مقام الإمامة الإلهية.

٢ـ وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٣]، فاللّه تعالى أراد لأهل البيت عليهم السلام باعتبار أنهم أصحاب المنصب الإلهي أن يكونوا مطهَّرين من الأنجاس والأرجاس وما أراده اللّه تعالى لا بد أن يقع لأنه تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[٤].

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٢٤).

(٢) سورة البقرة، الآية (١٢٤).

(٣) سورة الأحزاب، الآية (٣٣).

(٤) سورة يس، الآية (٨٢).

النص على الإمام

إن منصب الإمامة هو استمرار للنبوة فلذلك ما كان لرسول اللّه صلى الله عليه وآله أن يترك المجتمع يعيش في فراغ بعد رحيله حيث تقع فيه الخلافات والنزاعات ويرجع الناس إلى عهد الجاهلية، بل إن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وهو الذي بعث رحمة للعالمين وسيد العقلاء الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، كان قد نصّ على ولاية وإمامة علي عليه السلام في مناسبات كثيرة منذ انطلاق الدعوة الإسلامية، حيث ينقل لنا التاريخ تلك الحادثة المعروفة بحديث الدار عندما جمع عشيرته ولم يؤازره على أمره غير الإمام علي عليه السلام فقال عندها صلى الله عليه وآله: «أنت أخي ووصيي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي»[1]، ثم أكد على هذه الولاية في العديد من النصوص لاحقاً إلى أن وصل إلى حديث الغدير الذي أوردناه أولاً. هذا بالإضافة إلى الآيات الواردة في حق أمير المؤمنين عليه السلام التي منها:

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾[2].

---

(١) الإرشاد، الشيخ المفيد، ج١، ص ٥٠.

(٢) سورة المائدة، الآية (٥٥).

وقد أجمع المفسرون من السنة والشيعة على أنها نزلت بحق أمير المؤمنين عليه السلام عندما تصدَّق بخاتمه أثناء الصلاة.

ومنها قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾[1].

وفي أسباب نزول هذه الآية المباركة، روى الثعلبي الذي هو من المفسرين السنّة، «أنه لما كان النبي صلى الله عليه وآله بغدير خم نادى الناس فاجتمعوا، فأخذ بيد علي عليه السلام فقال من كنت مولاه فعلي مولاه، فشاع ذلك وطار في البلاد فبلغ الحارث بن النعمان الفهري فأتى نحو النبي صلى الله عليه وآله على ناقته حتى أتى الأبطح فنزل عن ناقته فأناخها وعقلها، ثم أتى النبي صلى الله عليه وآله وهو في ملأ من أصحابه فقال: يا محمد أمرتنا من اللّه أن نشهد أن لا إله إلا اللّه وأنك رسول اللّه ففعلناه، وأمرتنا أن نصلي خمساً فقبلناه، وأمرتنا أن نصوم شهر رمضان فقبلناه، وأمرتنا أن نحج البيت فقبلناه، ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بطبعي ابن عمك وفضَّلته علينا، وقلت من كنت مولاه فعلي مولاه، وهذا شيء منك أم من اللّه: فقال النبي صلى الله عليه وآله: والذي لا إله إلا هو، من اللّه، فولَّى الحارث بن النعمان يريد راحلته وهو يقول: اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، فما وصل إليها حتى رماه ابن بحجر فسقط على هامته فقتله وأنزل اللّه تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾[2].

(١) سورة المعارج، الآية (٢).

(٢) تفسير الفخر الرازي، ج٨، ص ٢٩٢.

وكذلك الحال بالنسبة للأئمة الإثني عشر، فبالنظر لأهمية موقع الإمامة وخطورته لم يكتفِ النبيﷺ بالنص على أمير المؤمنينعليه السلام فقط، بل أشار إلى الأئمة الإثني عشرعليهم السلام في مناسبات عديدة وبصيغ مختلفة، منها: ما رواه جابر بن سمرة قال: سمعت رسول اللّهﷺ يقول: «لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة، ثم قال كلمة لم أفهمها، فقلت لأبي: ما قال: قال: كلهم من قريش».

وفي رواية عن الصحابي الجليل جابر بن عبد اللّه الأنصاري قال: لما أنزل اللّه تبارك وتعالى على نبيهﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾: قلت يا رسول اللّه قد عرفنا اللّه ورسوله فمن أولي الأمر الذين قرن اللّه طاعتهم: فقالﷺ: هم خلفائي وأئمة المسلمين بعدي أوّلهم: علي بن أبي طالب ثم الحسن والحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي المعروف في التوراة بالباقر وستدركه يا جابر فإذا لقيته فاقرأه عني السلام، ثم الصادق جعفر بن محمد ثم موسى بن جعفر ثم علي بن موسى ثم محمد بن علي ثم علي بن محمد ثم الحسن بن علي ثم سميّي وكنيّي حجة اللّه في أرضه وبقيته في عباده ابن الحسن بن علي الذي يفتح اللّه على يده مشارق الأرض ومغاربها، ذاك الذي يغيب عن شيعته غيبة لا يثبت على القول في إمامته إلا من امتحن اللّه قلبه بالإيمان».

أما علم الإمام، فهو ينتقل إليه بعدة طرق، منها المباشر، ومنها بواسطة المعصوم السابق له، ومنها تحديث الملائكة، ومنها الإلهامات.

قال أبو الحسن عليه السلام: «الأئمة علماء صادقون مفهمون محدّثون»[١].

وفي حديث عن الحارث بن المغيرة: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أخبرني عن علم عالمكم. قال: «وراثة من رسول الله ومن علي».

قال: قلت: إنا نتحدث أنه يقذف في قلوبكم وينكت في آذانكم.

قال: «أو ذاك»[٢].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إن لله علماً لا يعلمه أحد غيره، وعلماً قد علمه ملائكته ورسله، فنحن نعلمه»[٣].

وهذا ما سنبينه عند بحثنا عن (علم الإمام) وما يتعلق به من موارد مهمة جداً توضح لنا حقيقة (علم الإمام) وما يراد به.

(١) أصول الكافي، الكليني، ج١، ص ٢٧٠.

(٢) م، ن، ج١، ص ٢٦٤.

(٣) بصائر الدرجات، الصفار، ص١١٠.

الإمامة لطف

فيما يخص الأدلة العقلية في إثبات الإمامة، فقد اشتهر بين الشيعة الإمامية أن دليل (اللطف) هو أحد الأدلة والبراهين التي تثبت وجوب الإمامة عقلياً، فقاعدة اللطف تقتضي أن يبعث الله الأنبياء والائمة ليقربوا الناس من طاعة الله تعالى ويبعدونهم عن معصيته.

فالحكمة الإلهية بموجب (قاعدة اللطف) تقتضي ألا يحرم الله المكلفين منه، وأن ينصّب من هو صنو النبيﷺ في العلم، والعصمة، والتدبير، والحنكة، ولَم شعث الأمة، وجمعهم على خط واحد، شريطة أن لا يصل اللطف إلى حد الإلجاء والاجبار، وإلا لسقط التكليف الذي لا ينسجم مع الجبر على القيام بالفعل أو تركه.

وتقريب ذلك؛ بأن وجود الإمام يقرب من الطاعة ويبعد من المعصية، فإن كان بين الناس من يفعل ذلك فإنهم سيكونون أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد.

إن اللطف هو: (ما أفاد هيئة مقربة إلى الطاعة ومبعدة عن المعصية، بحيث لم يكن له حظ في التمكين ولا يبلغ حد الإلجاء، والتقييد بعدم الحظ

في التمكين لأجل الاحتراز عن وقوع الفعل بوساطة الآلات والأدوات البشرية، فإنها وإن كانت مما يقرب إلى الطاعة ويبعد عن المعصية إلا أن لها مدخلية في تمكين المكلف من الفعل، والتقييد بعدم الوصول إلى حد الإلجاء من جهة أنه ينافي التكليف)[١].

فاللطف هو: (ما يكون المكلف معه أقرب إلى فعل الطاعة وأبعد من فعل المعصية ولم يكن له حظ في التمكين ولم يبلغ حد الإلجاء)[٢].

إن الشيخ الطوسي قد لخص دليل اللطف قائلاً: (الإمام لطف، فيجب نصبه على الله تحصيلاً للغرض)[٣]، فالوجوب المقصود هنا أن العقل يحكم بأن الله تعالى لا يترك عباده سدى دون ان يبعث لهم انبياء وأوصياء يكونوا حجة على الأرض في كل العصور، فإذا لم يبعث فيهم الانبياء والأوصياء، فإنه يكون قد نقض غرضه من الخلق، ونقض الغرض قبيح عقلاً، فإن العقلاء يذمون فاعله ويوبخونه عليه، والقبيح لا يصدر منه عز وجل[٤].

وبهذا الصدد قال العلامة الحلي: (وقد يكون اللطف محصلاً، وهو ما يحصل عنده الطاعة من المكلف على سبيل الاختيار، ولولاه لم يطع مع تمكنه في الحالين، وهذا بخلاف التكليف الذي يطيع عنده، لأن اللطف

(١) أوائل المقالات، المفيد، ص ١٦١.
(٢) الإيضاح للعلامة الحلي بين التفسير العقلي والمبنى الكلامي، حكمت الخفاجي، ص١٤١.
(٣) كشف المراد ، ص ١٨٢.
(٤) الألفين، ص ٢٥١.

أمر زائد على التكليف، فهو من دون اللطف يتمكن بالتكليف من أن يطيع أو لا يطيع، وليس كذلك التكليف لأن عنده يتمكن من أن يطيع وبدونه لا يتمكن من أن يطيع أو لا يطيع، فلم يلزم أن يكون التكليف الذي يطيع عنده لطفاً. إذا عرفت هذا فنقول: اللطف واجب، خلافاً للأشعرية. والدليل على وجوبه أنه يحصل غرض المكلف فيكون واجباً وإلا لزم نقض الغرض، وبيان الملازمة، ان المكلّف إذا علم أن المكلف لا يطيع إلا باللطف، فلو كلفه من دونه كان ناقضاً لغرضه، كمن دعا غيره إلى طعام وهو يعلم أنه لا يجيبه إلا إذا فعل معه نوعاً من التأدُّب، فإذا لم يفعل الداعي ذلك النوع من التأدُّب كان ناقضاً لغرضه، فوجوب اللطف يستلزم تحصيل الغرض)[١].

لقد تطرق العلامة الحلي لموضوع عصمة وأفضلية الإمام في عدة مواضع من تفسيره إيضاح مخالفة السنة. فعند تفسيره للآية الكريمة: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾[٢].

وقد ذهب العلامة الحلي إلى أنه لا يجوز أن يعطي الله تعالى الملك للفاسق؛ لأنه تمليك الأمر العظيم من السياسة والتدبير مع المال الكثير لقوله تعالى: ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٣]، والملك في قوله تعالى:

(١) كشف المراد، ص ١٠٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٢٦.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٢٤.

﴿أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾[١]، يراد به نبوة ابراهيم عليه السلام، أو يراد به المال دون السياسة والتدبير، وهذا بعينه دليل على أن الإمام يجب ان يكون معصوماً[٢]، وخالفت السنة فيه[٣]، إذ قد أنكروا عصمة الإمام، واتفق أكثرهم على أن الإمامة من فروع الدين لا من أصوله[٤].

فهم ينظرون إلى أن الإمام كرئيس دولة ينتخبه الشعب أو نواب الأمة، لا كما يراه الشيعة الإمامية بان الإمامة أصل من أصول الدين، وأنها استمرار لوظائف الرسالة، وأن الإمام منصّب ومنتخب من الله تعالى.

إن العلامة الحلي كغيره من علماء الإماميّة يرى ان الائمة عليهم السلام معصومون عن المعاصي في السر والعلن، فيكون ظاهرهم وباطنهم واحد لا اختلاف فيه، وان امامتهم أصل وليست فرع، وهي مسألة عقائدية، وليست مسألة فرعية.

من هنا جاء تأكيده على ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٥].

قال العلامة الحلي: (هذه الآية تدل على عصمة المصطفين ونزاهتهم

(١) سورة البقرة، الآية ٢٥٨.
(٢) إيضاح مخالفة السنة لنص الكتاب والسنة، العلامة الحلي، ص ١٩٦.
(٣) م. ن، ص ١٩٧.
(٤) المواقف، الأيجي، ص ٣٩٦.
(٥) سورة آل عمران، الآية ٣٣.

عن المعاصي سراً وعلانيةً، بحيث يكون ظاهره وباطنه واحداً، سواء كان نبياً أو إماماً)[١].

يقول الشيخ حسن زادة آملي: (وهذا الدليل هو الدليل نفسه المُقام على لزوم النبوة، فكل ما دل على وجوب النبوة ونصب النبي من الله وتعيينه يدل على الإمامة وخلافة النبي، باستثناء الوحي التشريعي)[٢].

لقد اتفقت كلمة علماء أهل السنة بأكثرهم على ان الإمامة من فروع الدين، وليست من الأصول، ويشهد لهذا الرأي عدة اقوال لعلمائهم منها:

١ـ قال الغزالي: (إعلم أن النظر في الإمامة ليس من فن المعقولات، بل من الفقهيات)[٣].

٢ـ قال الآمدي: (واعلم ان الكلام في الإمامة ليس من أصول الديانات)[٤].

٣ـ قال الأيجي: (ومباحثها عندنا من الفروع، وإنما ذكرناها في علم الكلام تأسياً بمن قبلنا)[٥].

٤ـ قال التفتازاني: (لا نزاع في أن مباحث الإمامة بعلم الفروع أليق)[٦].

---

(١) إيضاح مخالفة السنة، ص ٢٠٣.

(٢) رسالة في الإمامة، حسن زادة آملي، ص ٨٦.

(٣) الاقتصاد في الاعتقاد، الغزالي، ص ٢٣٤.

(٤) غاية المرام في علم الكلام، الآمدي، ص ٣٦٣.

(٥) المواقف، الأيجي، ص ٣٤٤.

(٦) شرح المقاصد، التفتازاني، ج ٥،ص ٢٣٢.

٥ـ قال ابن خلدون: (وقصارى أمر الإمامة إنها قضية مصلحية إجماعية ولا تلحق بالعقائد)[١].

أما الشيعة الإمامية فهم يرون بأن الإمامة التي هي (لطف) مسألة أصولية كلامية، حالها حال النبوة، سوى تلقي الوحي التشريعي، والإتيان بالشريعة (الرسالة)، وبذلك تكون مسألة الإمامة من المسائل الأصيلة في أصول الدين والعقائد[٢].

ثم يعقب العلامة الحلي بقوله: استدل البعض بأن الألم من فعله تعالى هو لطف، فهو حصول مشاق وتذكر عقاب، وذلك حاصل بالظلم منها فجاز أن يقوم مقامه. وهذا ليس بجيدٍ لأن كونه لطفاً جهة وجوب، والقبيح ليس له جهة وجوب، واللطف إنما هو في علم المظلوم بالظلم لا في نفس الظلم، وكما نقول: إن العلم بحسن ذبح البهيمة لطفٌ لنا وإن لم يكن الذبح نفسه لطفاً[٣].

(١) المقدمة، ابن خلدون، ص ٤٦٥.

(٢) محاضرات في الإلهيات، جعفر سبحاني، ص ٣٢٦ـ ٣٢٧.

(٣) كشف المراد، ص ٤٤٨.

أُسس مهمة على طريق فهم الإمامة

إن تبيين حقيقة الإمامة وما يتعلق بها يحتاج إلى كلام صادر عن معصوم لكي يبين لنا هذه الحقيقة، وما يراد بها، ومن هو الإمام الحقيقي المستحق للإمامة، وما هي صفاته ومواصفاته، وما هي الواجبات تجاهه.

أولاً: حدود الإمام المستحق للإمامة:

في هذا الصدد يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حول حدود الإمام المستحق للإمامة: «وأما حدود الإمام المستحق للإمامة؛

فمنها: أن يعلم الإمام المتولي عليه أنه معصوم من الذنوب كلها صغيرها وكبيرها لا يزل في الفُتيا، ولا يخطئ في الجواب، ولا يسهو ولا ينسى، ولا يلهو بشيء من أمر الدنيا.

والثاني: أن يكون أعلم الناس بحلال الله وحرامه، وضروب أحكامه وأمره ونهيه، وجميع ما يحتاج إليه الناس، فيحتاج الناس إليه ويستغني عنهم.

والثالث: يجب أن يكون أشجع الناس؛ لأنه فئة المؤمنين التي يرجعون إليها، إن انهزم من الزحف انهزم الناس لانهزامه.

والرابع: يجب أن يكون أسخى الناس، وإن بخل أهل الأرض كلهم لأنه إن استولى الشح عليه شح على ما في يديه من أموال المسلمين.

والعصمة من جميع الذنوب، وبذلك يتميز عن المأمومين الذين هم غير معصومين؛ لأنه لو لم يكن معصوماً لم يؤمن عليه أن يدخل فيما يدخل الناس من موبقات الذنوب المهلكات، الشهوات واللذات. ولو دخل في هذه الأشياء لاحتاج إلى من يقيم عليه الحدود، فيكون حينئذ إماماً مأموماً، ولا يجوز أن يكون الإمام بهذه الصفة.

وأما وجوب كونه أعلم الناس، فإنه لو لم يكن عالماً لم يؤمن عليه تقلب الأحكام والحدود، وتختلف عليه القضايا المشكلة فلا يجيب عنها، أو يجيب عنها بخلافها.

أما وجوب كونه أشجع الناس فلِما قدمنا؛ لأنه لا يصح أن ينهزم فيبوء بغضب من الله تعالى، وهذه لا تصح أن تكون صفة الإمام.

و أما وجوب كونه أسخى الناس فلِما قدمناه؛ وذلك لان البخل لا يليق بالإمام.

و قد جعل الله تعالى لهذه الأربعة فرائض دليلين أبان بهما المشكلات، وهما: الشمس والقمر، أي النبي ووصيه بلا فصل»[1].

يبين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حدود الإمام المستحق للإمامة الإلهية، أي المستحق أن يكون إماماً، وذلك بشروط مهمة

(١) رسالة المحكم و المتشابه، الشريف المرتضى، ص ١٣٨ ـ ١٤٠.

موجودة فيه، هي التي كانت الأساس في اصطفاءه، وبالتالي استحقاقه للإمامة الإلهية وهي:

١ـ العصمة:

إذ قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أن يعلم الإمام المتولي عليه أنه معصوم من الذنوب كلها صغيرها وكبيرها لا يزل في الفُتيا، ولا يخطئ في الجواب، ولا يسهو ولا ينسى، ولا يلهو بشيء من أمر الدنيا»[١].

ثم يوضح أمير المؤمنين عليه السلام سبب شرط العصمة «وبذلك يتميز عن المأمومين الذين هم غير معصومين؛ لأنه لو لم يكن معصوماً لم يؤمن عليه أن يدخل فيما يدخل الناس من موبقات الذنوب المهلكات، الشهوات واللذات. ولو دخل في هذه الأشياء لاحتاج إلى من يقيم عليه الحدود، فيكون حينئذ إماماً مأموماً، ولا يجوز أن يكون الإمام بهذه الصفة».

٢ـ أن يكون أعلم الناس:

إذ قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أن يكون أعلم الناس بحلال الله وحرامه، وضروب أحكامه وأمره ونهيه، وجميع ما يحتاج إليه الناس، فيحتاج الناس إليه ويستغني عنهم»[٢].

ثم يبين عليه السلام سبب ذلك بقوله: «فإنه لو لم يكن عالماً لم يؤمن عليه تقلب الأحكام والحدود، وتختلف عليه القضايا المشكلة فلا يجيب عنها، أو

(١) م، ن، ص ١٣٨ ـ ١٤٠.

(٢) م، ن، ص ١٣٨ ـ ١٤٠.

يجيب عنها بخلافها».

فقد سأل رجل الإمام الصادق عليه السلام عن مسألة فإجابه فيها، فقال الرجل: أرأيت ان كان كذا وكذا ما يكون القول فيها:

فقال له عليه السلام: «صه، ما اجبتك فيه من شيء فهو عن رسول الله، لسنا من (أرأيت) في شيء»[١].

وقال عليه السلام: «إنا عل بينة من ربنا بينها لنبيه فبينها نبيه لنا فلولا ذلك كنا كهؤلاء الناس»[٢].

٣ـ أن يكون أشجع الناس:

فيقول أمير المؤمنين عليه السلام بهذا الشأن: «يجب أن يكون أشجع الناس؛ لأنه فئة المؤمنين التي يرجعون إليها، إن انهزم من الزحف انهزم الناس لانهزامه»[٣].

أما شرط كونه أشجع الناس فهو: «لأنه لا يصح أن ينهزم فيبوء بغضب من الله تعالى، وهذه لا تصح أن تكون صفة الإمام».

٤ـ أن يكون أسخى الناس:

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «يجب أن يكون أسخى الناس، وإن بخل أهل الأرض كلهم لأنه إن استولى الشح عليه شح على ما في يديه من

(١) الكافي، الكليني، ج١، ص ١١٢.

(٢) بصائر الدرجات، الصفار، ص ٢٨٥.

(٣) رسالة المحكم والمتشابه، ص ١٣٨ ـ ١٤٠.

أموال المسلمين»[١].

أما شرط كونه أسخى الناس: «وذلك لان البخل لا يليق بالإمام».

وبذلك يتوضح أن الإمام المتصدي للإمامة الحقيقية الإلهية، والمعروف بأنه إمام معصوم ومفترض الطاعة، يجب ان تكون فيه أربع صفاتٍ رئيسية هي: العصمة، والعالمية، والشجاعة، والسخاء.

ولسائلٍ أن يسأل: وباقي الصفات الحميدة الأخرى:

للجواب عن ذلك نقول: من اليقين ذلك، وقد وضحت النصوص ذلك، والصفات المتقدمة المذكورة تعتبر من الأساسيات التي تقوم عليها باقي الصفات.

ثانيا: صفات الإمام:

وعن صفات الإمام يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «فثبت أنه لا بد من إمام عارف بجميع ما جاء به محمد النبي من كتاب الله تعالى بإقامة المقدم ذكرها؛ يجيب عنها وعن جميع المشكلات، وينفي عن الأمة مواقع الشبهات، لا يزال في حكمه، عارف بدقيق الأشياء وجليلها، يكون فيه ثمان خصال يتميز بها عن المأمومين، أربع منها في نعت نفسه ونسبه، وأربع في صفات ذاته وحالاته.

فأما التي في نعت نفسه، فإنه ينبغي أن يكون معروف البيت، معروف النسب، منصوصاً عليه من النبي صلى الله عليه وآله بأمر من الله سبحانه، بمثله تزول

(١) م، ن، ص ١٣٨ ـ ١٤٠.

دعوى من يدعي منزلته بغير نص من الله سبحانه ورسوله، حتى إذا قدم الطالب من البلد القريب والبعيد أشارت إليه الأمة بالكمال والبيان.

وأما اللواتي في صفات ذاته، فإنه يجب أن يكون أزهد الناس، وأعلم الناس، وأشجع الناس، وأكرم الناس، وما يتبع ذلك لعلل تقتضيه.

لأنه إذا لم يكن زاهداً في الدنيا وزخرفها دخل في المحظورات من المعاصي، فاضطره ذلك إلى أن يكتم على نفسه، فيخون الله تعالى في عباده، فيحتاج إلى من يطهره بإقامة الحد عليه، فهو حينئذ إمام مأموم.

و إما إذا لم يكن عالماً بجميع ما فرضه الله تعالى في كتابه وغيره قلب الفرائض، فأحل ما حرم الله وحرم ما أحل الله، فضل وأضل.

وإذا لم يكن أشجع الناس سقط فرض إمامته؛ لأنه في الحرب فئةٌ للمسلمين، فلو فرّ لدخل فيمن قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾.

وإذا لم يكن أكرم الناس نفساً دعاه البخل والشح إلى أن يمد يده فيأخذ فيء المسلمين، لأنه خازنهم وأمينهم على جميع أموالهم من الغنائم والخراج والجزية والفيء.

فلهذه العلل يتميز من سائر الأمة، ولم يكن الله ليأمر بطاعة من لا يعرف أوامره ونواهيه، ولا أن يولي عليهم الجاهل الذي لا علم له، ولا ليجعل الناقص حجة على الفاضل.

و لو كان ذلك لجاز لأهل العلل والأسقام أن يأخذوا الأدوية ممن ليس بعارف منافع الأجساد ومضارها، فتتلف أنفسهم. ولو أن رجلاً أراد أن يشتري ما يصلح له من متاع وغيره لكان من حزم الرأي أن يستعين بالرجل التاجر البصير بالتجارة، فيكون ذلك أحوط عليه.

و إذا كان جميع ذلك لا يصلح في هذه الأشياء الدّنيوية، فأحرى أن يقصد الإمام العادل في الأسباب كلها التي يتوسل بها إلى أمور الآخرة، فيمتاز بين الإمام العالم والجاهل»[1].

في النص المتقدم يبين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام صفات الإمام، والتي قسمها عليه السلام إلى صفات في نعت نفسه، وصفات ذاته.

فالصفات التي في نعت نفسه هي:

١ـ أن يكون معروف البيت.

٢ـ معروف النسب.

٣ـ منصوصاً عليه من النبي صلى الله عليه وآله بأمرٍ من الله سبحانه وتعالى.

٤ـ معروفاً بالكمال والبيان.

أما صفات ذاته فهي:

١ـ أن يكون أزهد الناس.

٢ـ أن يكون أعلم الناس.

---

(١) رسالة المحكم و المتشابه، ص ١١٢ ـ ١١٤.

٣ـ أن يكون أشجع الناس.

٤ـ أن يكون أكرم الناس.

أما حول ضرورة وجود الإمام: فقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «فصحّ موضع المأمومين الذين لا عصمة لهم إلا بإمام عادل معصوم يقيم حدود الله تعالى وأوامره فيهم، ويجاهد بهم، ويقسم غنائمهم. ولا يستقيم أن يقيم الحدود من في جنبه حد الله تعالى؛ لأن الخبيث لا يطهّر بالخبيث، وإنما يطهّر الخبيث بالطاهر الذي يدل على ما يقرب من الله تعالى، وإنما يحيون به الحياة الدنيا في حال معايشهم، مما يكون عاقبته إلى حياة الأبد في الدار الآخرة، ولا بد ممن هذه صفته في عصر بعد عصر، وأوان بعد أوان، وأمة بعد أمة، جارياً ذلك في الخلق ما داموا ودام فرض التكليف عليهم، لا يستقيم لهم الأمر ولا تدوم لهم الحياة إلا بذلك.

و لو كان الإمام بصفة المأمومين لاحتاج إلى ما احتاجوا إليه، فيكون له حينئذٍ إمام، وليس في عدل الله تعالى وحكمته أن يحتجّ على خلقه بمن هذه صفته، وإنما إمامُ الإمامِ الوحيُ الآمر له والناهي، فكل هذه الصفات المتفرقة في الأنبياء فإن الله سبحانه جمعها في نبينا صلى الله عليه وآله ووجب لذلك بعد مضيّه صلى الله عليه وآله أن تكون في وصيّه، ثم في الأوصياء، اللهم إلا أن يدّعي مُدّعٍ أن الإمامة مستغنية عمّن هذه صفته، فيكونون بهذه الدّعوى مبطلين، بما تقدّم من الأدلة»[1].

---

(١) رسالة المحكم و المتشابه، ص ١١١ ـ ١١٢.

انطلاقاً من تسالم المسلمين على كون النبي الأكرم محمدﷺ كان يشغل جميع مناصب القيادة والإمامة في الحكومة الإسلامية، فإن الولاية الثابتة لهﷺ شاملة لجميع المناصب المتعلقة بها، فهو أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وإن من ينهض بأعباء هذه المهمة من بعدهﷺ هم أهل بيتهعليهم السلام، الذين نصبهم بأمرٍ من الله سبحانه وتعالى، وجعلهم هداة من بعده، وأمر المسلمين بالتمسك بهديهم، كما نص على ذلك حديث الغدير، والذي قال فيه رسول اللهﷺ: «من كنت مولاه فهذا عليٌ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»[1].

وكذا ما جاء في حديث الثقلين، وأحاديث أخرى كثيرة توصي الأمة بأهل بيتهعليهم السلام، وليست وصيته هي من باب حبه لهم، أو كونها تحزب، أو قضية وراثة، أو عاطفة، بل هي أمر إلهي بأن يكون الورثة من بعده هم أئمة من أهل بيتهعليهم السلام، وذكرﷺ عددهم، وسمائهم بأسمائهم.

ثم انه لا ينحصر دور الإمام في الحكومة السياسية فقط، وهذه نقطة مهمة كانت ولازالت محل خلط والتباس في الوعي الجماهيري الإسلامي، ظناً بانحصار دور الإمام في الحكم السياسي فحسب، فإذا لم يكن حاكماً لم يكن إماماً!:

(١) مسند أحمد بن حنبل، ج١، ص ٨٤، سنن ابن ماجه، ج١، ص ٤٣، سنن الترمذي، ج٥، ص٢٩٧، المستدرك، ج٣، ص ١٠٩، مجمع الزوائد، ج٧، ص١٧، فتح الباري، ج٧، ص٦١، صحيح ابن حبان، ج١٥، ص٣٧٦.

والأمر ليس كذلك، بل ان الإمامة هي؛ قيادة وهداية وإرشاد وتوجيه للأمة في جميع مجالات الحياة، وبما ان أهل البيت عليهم السلام ـ الذين ثبتت عصمتهم ـ هم الأجدر والأحق في ذلك، ولذلك نصب النبي الأكرم صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام من بعده للإمامة.

وبذلك يتضح أمرٌ مهم هو: ان إقصاء أهل البيت عليهم السلام عن موقعهم في القيادة والحكومة السياسية لا ولن يعني ذلك زوال أو ضعف إمامتهم التي ثبتت بالجعل والاصطفاء الإلهي، وبالتنصيب النبوي، ويبقى موقعهم الحقيقي كما هو في كونهم أئمة وهداة ومرشدين للأمة، ومصدر أمان لها.

ولقد وضح أمير المؤمنين عليه السلام في أحاديثه المباركة حق ومكانة أئمة أهل البيت عليهم السلام، إذ قد بين عليه السلام هذه المكانة السامية لهم في جملة من الأحاديث، التي ترسم لنا (إجمالاً) خط السير والسلوك، وكيفية التعامل مع هذا الحق الذي افترضه الله تعالى لهم، وواجبنا تجاههم عليهم السلام. ومن جملة هذه الحقوق ما يمكن أن نجمله في:

١ـ في منزلتهم عليهم السلام الحقيقية:

قال عليه السلام عن منزلة الأئمة الأطهار عليهم السلام: «أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا، كذباً وبغياً علينا، ان رفعنا الله ووضعهم، واعطانا وحرمهم، وأدخلنا واخرجهم. بنا يستعطى الهدى، ويستجلى العمى. ان الأئمة من قريش غُرسوا في هذا البطن من هاشم، لا تصلح على سواهم،

ولا تصلح الولاة من غيرهم»[١].

٢ـ هم الصراط المستقيم:

وقال عليه السلام: «... وانما الأئمة قوم الله على خلقه، وعرفاؤه على عباده. ولا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه»[٢].

وقال عليه السلام: «انظروا اهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم واتبعوا أثرهم، فلن يخرجوكم من هدى، ولن يعيدوكم في ردى...»[٣].

٣ـ هم نور الله تعالى:

وقال عليه السلام: «أنما مثلي بينكم كمثل السراج في الظلمة، يستضيء به من ولجها»[٤].

٤ـ في ولايتهم:

قال عليه السلام: «بني الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية»[٥].

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٤٢.
(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٥٠.
(٣) نهج البلاغة، م ١، ص ١٩٠.
(٤) نهج البلاغة، الخطبة ١٨٥.
(٥) بحار الأنوار، ج ٦٨، باب ٢٧، ح ١.

علم الإمام

إن الكلام عن علم الإمام كلام يحتاج إلى وقفات كثيرة، ذلك لدقة المطلب وللأبحاث المتشعبة المتعلقة به والتي تحتاج إلى توضيح تام لها.

هذه الأبحاث ـ الخاصة ـ التي هي وفي أصل تأسيسها ـ عموماً ـ حكرٌ على المذهب الشيعي دون غيره، من حيث تكوينية وتشريعية سلطة الإمام. ومن حيث المكانة والرتبة، ومن حيث الاختيار والاصطفاء الإلهي، وما يتعلق بكونها إكمال لخط النبوة، وكذلك مبحث (العصمة) كونه من الصفات اللازمة والمهمة والرئيسة لمتقلد منصب (الإمامة).

نعم، ان هناك بعض الكتب التي تناولت موضوع (علم الإمام)، لكن بما هو علم، وقد اغفلت انعكاسات هذا العلم، وتأثيراته، ودوره المحوري في جميع العلوم والمعارف تكويناً وتشريعاً. فهو المعين الذي تُستقى منه جميع المعارف الإنسانية بلا استثناء.

يدل عليه قولهم عليهم السلام: «إنما علينا أن نلقي إليكم الأصول، وعليكم التفريع»[1].

---

(١) أعيان الشيعة، محسن الأمين، ج١، ص ١٠٤.

وذلك ان الله تعالى قد اعطاهم (جوامع الكلم)، بل ان الأحاديث التي حصرت العلم بهم عليهم السلام فقط كثيرة جداً، مضافاً لها الأحاديث التي أوضحت ـ وبشكل عام ـ حقيقة العلم الذي سيأتي به صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه الشريف للبشرية، وعظمة هذا العلم مقارنة بما لدى البشر.

فعن أبي جعفر عليه السلام انه قال: «إذا قام قائمنا وضع يده على رؤوس العباد فجمع بها عقولهم، وكملت به أحلامهم»[1].

وفي حديث الإمام الصادق عليه السلام: «العلم سبعة وعشرون حرفاً. فجميع ما جاءت به الرسل حرفان، فلم يعلم الناس حتى اليوم غير الحرفين. فإذا قام قائمنا أخرج الخمسة والعشرين حرفاً فبثّها في الناس، وضم إليها الحرفين. حتى يبثّها سبعة وعشرين حرفاً»[2].

دلالة على شمولية هذا العلم من جانب، ولدنيته أي كونه من لدن الله تعالى، ذلك انه علم خالص اختص به الله تعالى ثلة خاصة من أصفياءه، ومنهم الأئمة المعصومين عليهم السلام خلفاء النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أولهم علي بن أبي طالب عليه السلام وآخرهم الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف.

أن الأحاديث التي نصت على علم الإمام وعلى حقيقته وعلى اختصاصه بالعلم دون غيره، بل انحصار العلم به فقط كثيرة سنورد جملة منها والتي منها:

---

(١) الكافي، ج١، ص ٢٥، ٢١.

(٢) البحار، ج٥٢، ص ٣٣٦، باب ٢٧، ح ٧٣.

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «يا سلمان، الويل كل الويل لمن لا يعرفنا حق معرفتنا وأنكر فضلنا.

يا سلمان، أيما أفضل: محمد صلى الله عليه وآله، أم سليمان بن داود:

فقال سلمان: بل محمد صلى الله عليه وآله.

قال عليه السلام: فهذا آصف بن برخيا قدر أن يحمل عرش بلقيس من مكانه إلى سليمان في طرفة عين؛ إذ كان عنده علم من الكتاب، وكيف لا أفعل أنا أضعاف ذلك وعندي علم ألف كتاب. أنزل الله على شيث بن آدم خمسين صحيفة، وعلى إدريس ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم عشرين صحيفة، وعلم التوراة والإنجيل والزبور والفرقان.

فقال: صدقت يا سيدي.

قال: أعلم ـ يا سليمان ـ إن الشاك في أمرنا وعلومنا كالممتري في معرفتنا وحقوقنا، وقد فرض ولايتنا في كتابه في غير موضع، وبيّن فيه ما وجب العمل به، وهو غير مكشوف»[1].

أما في مقام (علم الإمام) فهناك روايات كثيرة، تحتاج إلى وقفاتٍ ووقفات يقفها الإنسان مع نفسه بالدرجة الأولى ليعرف موقفه تجاه حجج الله على خلقه، وهل هو مسلم لهم تسليماً كاملاً: أم هو متردد: أم هو يؤمن ببعض ويكفر بالبعض الآخر من الروايات:

---

(١) نوادر المعجزات، محمد بن جرير الطبري، ص ١٨.

في هذا المقام سنستعرض جملة من الروايات المؤكدة على ذلك، ليتوضح للكل حقيقة (علم الإمام) الذي منحه له الله سبحانه وتعالى، وما كلامنا إلا مجرد نقل، فلا ندعي الفضل ابداً، ولا ندعي اكتشاف غير المُكتشف، بل أُذكر نفسي قبل كل أحدٍ، وما توكلي إلا على الله تعالى.

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «عجبت من قوم يتولونا ويجعلونا أئمة، ويصفون أن طاعتنا مفترضة عليهم كطاعة رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم يكسرون حجتهم، ويخصمون أنفسهم بضعف قلوبهم، فينقضون حقنا ويعيبون ذلك على من أعطاه الله برهان حق معرفتنا والتسليم لأمرنا، أترون أن الله تبارك وتعالى افترض طاعة أوليائه على عباده، ثم يُخفي عنهم أخبار السماوات والأرض، ويقطع عنهم مواد العلم فيما يرد عليهم مما فيه قوام دينهم».

فقال له حمران: جعلت فداك، أرأيت ما كان من أمر قيام علي بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم السلام وخروجهم وقيامهم بدين الله عز ذكره، وما أُصيبوا من قتل الطواغيت إياهم والظفر بهم حتى قُتلوا وغُلبوا:

فقال أبو جعفر عليه السلام: «يا حمران، إن شاء الله تبارك وتعالى قد كان قدَر ذلك عليهم وقضاه وأمضاه وحتمه على سبيل الاختيار] الاختبار [ثم أجراه، فبتقدم علم إليهم من رسول الله صلى الله عليه وآله قام علي والحسن والحسين، وبعلمٍ صمت من صمت منا، ولو أنهم ـ يا حمران ـ حيث نزل بهم ما نزل من أمر الله عز وجل، وإظهار الطواغيت عليهم، سألوا الله عز وجل أن يدفع

عنهم ذلك، وألحوا عليه في طلب إزالة ملك الطواغيت وذهاب ملكهم، إذاً لأجابهم ودفع عنهم، ثم كان انقضاء مدة الطواغيت وذهاب ملكهم أسرع من سلك منظوم انقطع فتبدد، وما كان ذلك الذي أصابهم ـ يا حمران ـ لذنب اقترفوه، ولا لعقوبة معصية خالفوا الله فيها، ولكن لمنازل وكرامة من الله أراد أن يبلغوها، فلا تذهبنَ بك المذاهب فيهم»[1].

فالقاعدة التي يضعها لنا الإمام الباقر عليه السلام هي: «لا تذهبن بك المذاهب فيهم»، فالقضية إما تسليم مطلق أو عدم تسليم مطلق، إذ لن تفيد الوسطية هنا، فالأمر اما كفر أو إيمان، والطريق الذي قد يسميه البعض بـ(الوسطي) سيؤدي ـ هنا ـ بالنهاية إلى أخس المقدمتين، وسيكون الجزاء هو ان يُحسب صاحبه على ثلة الكافرين يقيناً.

و كذل الحال في حديث الإمام الصادق عليه السلام لهشام والذي يقول فيه: «ويك يا هشام لا يحتج الله تبارك وتعالى على خلقه بحجة لا يكون عنده كل ما يحتاجون إليه»[2].

يذكر العلامة الشيخ (محمد حسين المظفر) في المقام أمراً مهماً هو: «إن الكلام في علم الإمام يشمل العلم بالساعة والآجال والمنايا وغيرها، مما ظاهره استئثاره به تعالى والتي يجمعها قوله جل شأنه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا

(١) الكافي، الكليني، ج١، ص ٢٦٢.
(٢) الكافي، ج ١، ص ٢٦٢.

﴿تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ لأن النصوص الخاصة صريحة في أن الله تعالى أطلعهم على هذا العلم، بل وبعض الآيات الكريمة مثل قوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾، وبها نرفع اليد عن ظواهر الآيات والروايات التي دلت على اختصاصه تعالى بها دون خلقه، أو يحمل الاختصاص على العلم الذاتي دون العرضي)[1].

كما ويقول عبد الحسين اللاري: (... وأما المراد من عموم كمية علم الإمام على القول بعمومه، فهو شمول علمه لكل ما كان وما يكون إلى يوم القيامة على وجه الإيجاب الكلي، لا الإيجاب الجزئي الخاص بغير علم الساعة والآجال والمنايا...)[2].

فعلم الإمام بكل شيء واجب متفرع على الاعتقاد به. أما علم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بشكل خاص، فهناك روايات تؤكد على ذلك منها:

عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر الباقر عليه السلام يقول: «أما إنه ليس عند أحد علم ولا حق ولا فتيا إلا شيء أخذ عن علي بن أبي طالب عليه السلام وعنا أهل البيت. وما من قضاء يقضي به بحق وصواب إلا بدء ذلك ومفتاحه وسببه وعلمه من علي عليه السلام ومنا. فإذا اختلف عليهم أمرهم قاسوا وعملوا

(١) علم الإمام، محمد حسين المظفر، ص ١٢.

(٢) المعارف السلمانية، عبد الحسين اللاري، ص ٢٩.

بالرأي، وكان الخطأ من قبلهم إذا قاسوا، وكان الصواب إذا اتبعوا الآثار من قبل علي عليه السلام»[١].

(١) بحار الأنوار، ج٢، ص ٩٥.

أفضلية الإمام

إن الإمامة عند الشيعة هي أصل من أُصول الدين، وأن الاعتقاد بإمامة الأئمة تعد من لوازم الإيمان الصحيح عندهم، وان منكرها كافر؛ لأن الإسلام مبني على الولاية، فلا يمكن أن يخلوا كل عصر من إمام هاد يخلف النبيﷺ في أداء وظائفه ومسؤولياته، بغية إرشاد البشر لما فيه اصلاحهم وسعادتهم في النشأتين، وإقامة العدل، ورفع الظلم والعدوان بينهم، وعلى هذا فالإمامة استمرار لنبوة النبيﷺ، وهي واجبة على الله تعالى، والدليل الذي يوجب إرسال الرسل والأنبياء هو نفسه يوجب نصب الإمام بعد النبي صلوات الله وسلامه عليه[١].

وذهبت الإمامية كافة إلى أن الطريق إلى تعيين الإمام يتم بالنص من الله تعالى، أو نبيه، أو إمام ثبتت إمامته بالنص عليه، أو ظهور المعجزات على يده[٢]، وليست هي بالاختيار أو الانتخاب من الناس، وقد أجمعت المعتزلة والخوارج والزيدية والمرجئة والمتسمون بأصحاب الحديث على خلاف ذلك، وأجازوا الإمامة في من لا نص عليه ولا توقيف[٣].

---

(١) تلخيص الشافي، الطوسي، ص ٦٩ ، الألفين، العلامة الحلي، ص ٤٠.

(٢) نهج الحق، العلامة الحلي، ص ١٦٨.

(٣) أوائل المقالات، الشيخ المفيد ، ص ٤٠.

وبما أنّ الإمام يكون باختيار الله تعالى، فهذا يقتضي عصمته من الذنوب؛ باعتبار أن صدور المعصية منه يلزم نقض الغرض من نصبه؛ لأن الغرض هو انقياد الأمة له وامتثال أوامره واتباعه فيما يفعله، فلو وقعت المعصية منه لم يجب شيء من ذلك وهو مناف لنصبه[١]، وهذا ما أكده العلامة الحلي حين قال: (وامتناع التسلسل يوجب عصمته، ولأنه حافظ للشرع، لوجوب الانكار عليه لو أقدم على المعصية فيضاد امر الطاعة، ويفوت الغرض من نصبه، ولانحطاط درجته عن أقل العوام)[٢].

وعليه فإن السبب الذي يوجب عصمة النبيّ صلى الله عليه وآله هو نفسه يوجب عصمة الإمام، ألا وهو انقياد الناس واتباعهم لأوامره، فالعقل الذي يدل على أن الله تعالى لا يبعث نبياً غير معصوم، يدل أيضاً على أن الله تعالى لا ينصب إمامًا غير معصوم؛ لأن الإمام امتداد للنبي صلى الله عليه وآله ومنصوص عليه من الله تعالى أو نبيه صلوات الله وسلامه عليه.

وقد ذكر البعض شروطاً لابد من توفرها في الامام، فمن ذلك ما ورد عن الامام الرضا عليه السلام حين قال: الأمام عالم لا يجهل، راع لا ينكل، معدن الطهارة، نامي العلم، كامل الحلم، مضطلع بالإمامة، عالم بالسياسة، مفروض الطاعة، قائم بأمر الله عز وجل، ناصح لعباد الله، حافظ لدين الله[٣].

(١) كشف المراد، العلامة الحلي ، ص ٤٩٣.

(٢) م، ن، ص ٢٩٢.

(٣) عيون اخبار الرضا، ابن بابويه القمي، ج ١،ص ٢٢١.

وبهذا أجمعت الأمامية على ان الامامة رئاسة دينية الهية ونيابةٌ عن الرسول في اداء وظائفه ومسؤولياته، وأن الإمام كالنبي في وجوب عصمته عن جميع القبائح والفواحش[١]، وخالفت السنة في ذلك، فذهبوا إلى جواز إمامة الفساق، والعصاة، والسراق[٢].

لقد تطرق العلامة الحلي لموضوع عصمة وأفضلية الإمام في عدة مواضع من تفسيره إيضاح مخالفة السنة.

فعند تفسيره للآية الكريمة: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾[٣].

ذهب العلامة الحلي إلى أنه لا يجوز أن يعطي الله تعالى الملك للفاسق؛ لأنه تمليك الأمر العظيم من السياسة والتدبير مع المال الكثير لقوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٤]، والملك في قوله تعالى: ﴿أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ ﴾[٥]، يراد به نبوة ابراهيم عليه السلام، أو يراد به المال دون السياسة والتدبير، وهذا بعينه دليل على أن الإمام يجب ان يكون معصوماً[٦]،

(١) نهج الحق، العلامة الحلي ، ص ١٦٤.
(٢) م، ن، ص١٦٥.
(٣) سورة آل عمران، الآية ٢٦.
(٤) سورة البقرة، الآية ١٢٤.
(٥) سورة البقرة، الآية ٢٥٨.
(٦) إيضاح مخالفة السنة لنص الكتاب والسنة، العلامة الحلي، ص ١٩٦.

وخالفت السنة فيه[١]، وأنكروا عصمة الإمام، واتفق أكثرهم على أن الإمامة من فروع الدين لا من أصوله؛ وذلك لأنهم ينظرون إلى أن الإمام كرئيس دولة ينتخبه الشعب أو نواب الأمة، لا كما يراه الشيعة الإمامية بان الإمامة أصل من أصول الدين، وأنها استمرار لوظائف الرسالة، وأن الإمام منصّب ومنتخب من الله تعالى[٢].

وبهذا فان العلامة الحلي كغيره من علماء الإماميّة يرى ان الائمة معصومون عن المعاصي في السر والعلن، فيكون ظاهرهم وباطنهم واحد، ومن هنا جاء تأكيده على ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٣].

قال العلامة: (هذه الآية تدل على عصمة المصطفين ونزاهتهم عن المعاصي سراً وعلانيةً، بحيث يكون ظاهره وباطنه واحداً، سواء كان نبياً أو إماماً)[٤].

كما وأكد العلامة الحلي على أفضلية الإمام، وأنه يجب أن يكون أفضل من رعيته؛ ذلك لأن العقل يقبح تقديم المفضول على الفاضل، ويقبح رفع مرتبة المفضول دون الفاضل، ويدخل ضمن هذا الحكم كون الامام أفضل

(١) م، ن، ص ١٩٧.
(٢) المواقف، الأيجي، ٣٩٦.
(٣) سورة آل عمران، الآية ٣٣.
(٤) إيضاح مخالفة السنة، ص ٢٠٣.

في العلم، والدين، والكرم، والشجاعة، وجميع الفضائل النفسية والبدنية[١].

وهذا ما أكده في تفسيره إيضاح مخالفة السنة في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[٢].

حيث قال: (قال البلخي: في الآية دلالة على فساد قول من قال: بأن الإمامة وراثة لأن الله تعالى ردّ ما أنكروه من التمليك عليهم مَن ليس مِن أهل النبوة ولا المملكة، وبيّن أنه يجب بالعلم والقوة، لا بالوراثة)[٣]، واستدلت الإمامية بهذه الآية أن من شروط الإمام أن يكون أعلم من رعيته، وأفضلهم؛ لأنه تعالى علل تقديمه عليهم، بكونه أعلم وأقوى، ولو لم يكن هذا شرطاً لما كان لأفضلية الإمام معنى[٤]، وخالفت السنة فيه، فجوزوا تقديم المفضول على الفاضل[٥].

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ

(١) كشف المراد، ص ٤٩٥ و نهج الحق، ص١٦٨.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٤٧.

(٣) إيضاح مخالفة السنة، ص ١١٢.

(٤) ايضاح مخالفة السنة، العلامة الحلي، ص ١١٢.

(٥) نهج الحق، ص ١٦٨.

﴿نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[١].

ذكر العلامة الحلي أن الإمامية استدلت بهذه الآية بأن الإمام علي عليه السلام هو أفضل الصحابة؛ وذلك لأن استعانة النبي صلى الله عليه وآله به في الدعاء دليل على تميّزه وعلوّ منزلته، وأنه من أفضل الناس عند الله تعالى[٢].

ثم بيّن الحلي أن قوله تعالى: ﴿وَأَنفُسَنَا﴾ يراد به علي عليه السلام، وأراد بقوله تعالى: ﴿أَبْنَاءَنَا﴾ الحسن والحسين عليهما السلام، وقوله جل وعلا: ﴿وَنِسَاءَنَا﴾ هي فاطمة عليها السلام، وهذا دليل على فضيلتهم على غيرهم؛ لأن العقل يقتضي بانه لو كان أحد أفضل منهم لأستند النبي صلى الله عليه وآله به لطلب الدعاء، لكن الله عز وجل هو الذي أمره بذلك[٣].

وهذا القول هو ما ذهب اليه أغلب المفسرين[٤]، قال الزمخشري في بيان معنى الآية: (وفيه دلالة لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام)[٥].

وقال الألوسي: (ودلالتها على فضل آل الله ورسوله صلى الله عليه وآله مما لا يمتري فيها مؤمن)[٦].

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٦١.

(٢) إيضاح مخالفة السنة، ص ٢٢٣.

(٣) إيضاح مخالفة السنة، العلامة الحلي، ص ٢٢٤-٢٢٥.

(٤) التفسير الكبير، الرازي، ج٨، ص٨٥، مجمع البيان، الطبرسي، ج٢، ص٧٦٢-٧٦٣.

(٥) الكشاف، الزمخشري، ج ١، ص ٣٧١.

(٦) روح المعاني، الألوسي، ج ٣، ص ١٨٩.

شبهات أثيرت على الإمامة

لقد أثيرت العديد من الشبهات على الإمامة، ومنها في حقيقة الإمامة وهل هي جعل إلهي أما لا: وأرادوا ربطها بالحكومة، إذ جعلوا كرسي الحكم متمماً لها، ومع عدم تسنم الإمام لكرسي الحكم فإنه غير تام الشروط بزعمهم!:

للجواب عن ذلك نقول:

لقد أولى القرآن الكريم مفهوم الإمامة اهتماماً خاصاً، ذلك ان النصوص القرآنية واضحة حول ذلك، وكثيرة كثرة لا يمكن الغفلة عنها أو إغماض الطرف عنها. فإن تقول القائلين بكون الإمامة لا ذكر لها في القرآن، أو أنها مذكورة لكن ليس لها فائدة كبيرة، أو أن معناها ليس له خصوصية، كل ذلك يدل اما عن جهل، أو تعمد في تقليل أهمية الإمامة، أو بسبب عداوة حقيقية لهذا المفهوم. ولا بدّ أن نفهم أموراً أساسية هي العماد في فهم قضية الإمامة والتي منها:

١ـ إن الإمامة جعل إلهي: فالنصوص القرآنية المباركة قد وضحت ذلك،

ومنها النص الجلي الواضح في قضية نبي الله إبراهيم عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

وهذه الآية المباركة تؤكد على ان الإمامة هي عهد وجعل واختيار واصطفاء إلهي لشخصٍ معين تتوفر فيه الصفات المطلوبة ليكون محل أهلية ذلك المنصب الإلهي.

٢ـ الإمامة غير النبوة: إن الآية (١٢٤) من سورة البقرة المباركة ـ المتقدمة ـ تكشف كون الإمامة غير النبوة، قال تعالى ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ﴾ ذلك ان (اسم الفاعل في ـ الآية المباركة ـ (جاعل) لا يعمل في المفعول (إماماً) إلا إذا كان بمعنى الحال أو الاستقبال، ولا يعمل في الماضي، وحيث ان النبوة كانت ثابتة مسبقاً لإبراهيم عليه السلام، فلا بدّ أن يكون إعطاء الإمامة لإبراهيم عليه السلام في الحال أو الاستقبال، أي بعد نبوته)[2].

٣ـ الإمامة مكملة لمشروع النبوة: فإن الإمامة الإلهية الحقيقية المجعولة من الله تعالى هي امتداد لمهام الأنبياء، وإكمال لرسالات السماء.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[3].

قال السيوطي في تفسير الآية (٧) من سورة الرعد في تفسير الدر

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٢٤).

(٢) شرح الرضي على الكافية، رضي الدين الاسترابادي، ج٣، ص ٤١٥.

(٣) سورة الرعد، الآية (٧).

المنثور: (أخرج ابن مردويه عن برزة الأسلمي، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ﴾، ووضع يده على صدر نفسه، ثم وضعها على صدر علي ويقول ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾...)[1].

٤ـ لا بدّ ان يكون الإمام معصوماً: فلقد كشفت الآية (١٢٤) من سورة البقرة بأن العهد والجعل لا يناله الظالم، في إشارة إلى ان من ينال العهد له شروطه الخاصة.

قال تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2].

فيتضح بأن الإمام المجعول والمنصوص عليه من الله سبحانه وتعالى؛ لا بدّ ان يكون معصوماً، وشرط العصمة قد أكدته الآية المباركة، وأكدته كذلك آية التطهير، ونص عليه حديث الثقلين، وغير ذلك من الأدلة الكثيرة، والتي دلت على عصمة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام.

٥ـ القيادة الدنيوية غير القيادة الدينية: فإن اللبس قد أصاب عقولاً كثيرة، بأن قرنوا ما بين كرسي الحكم والإمامة الإلهية، وهذه مقارنة غير صحيحة، فالإمام إمام سوى استلم كرسي الحكم أم لا، والإمام إمام سوى كان قائداً أو فرداً من أفراد الأمة، فالإمامة الإلهية شيء، والمناصب

(١) الدر المنثور، السيوطي، ج٤، ص ٦٠٨، وايضاً في: شواهد التنزيل، الحاكم الحسكاني، ج١، ص ٣٨٦، وجامع البيان، الطبري، ج١٣، ص ١٤٢، وفتح القدير، الشوكاني، ج٣، ص ٧٠.

(٢) سورة البقرة، الآية (١٢٤).

الدنيوية شيء آخر.

إن دور الإمام المعصوم المنصب من قبل الله تعالى والمنصوص عليه لا ينحصر في الحكومة الدنيوية أو السياسية، وهذه النقطة بالتحديد محل التباس عند أهل السنة عموماً وعند طوائف وجماعات من الشيعة بشكلٍ خاص، فالإمامة هداية للأمة في جميع مجالات الحياة، وهداية الأمة يقتضي نوعاً من القيادة أو الإرشاد، فلا بدّ ان يكون هناك مرشد يرشد الباقين، بل ان القيادة ضرورة عقلية، فلو كان هناك مائة نبي في نفس الوقت لتحتم ان يكون فيهم قائد ومرشد للباقين، وتلك سنة إلهية لا يمكن انكارها.

وأكبر دليل على ما تقدم هو: ان إقصاء أئمة أهل البيت عليهم السلام عن موقع القيادة لم يؤثر على إمامتهم، ذلك ان إمامتهم قد ثبتت بالجعل الإلهي، كما وانه لن يؤثر عليهم قبول الأمة بذلك من عدمه، فالجعل الإلهي والنص النبوي قد بين مكانتهم، وهذا ما يؤمن به المؤمنون حقاً.

العصمة

نصل إلى معلم آخر من معالم العقيدة ألا وهو (العصمة)، وهنا لا بدّ لنا من توضيح حقيقتها، وما يراد بها، وتوضيح معناها ليتسنى فهمها فهماً صحيحاً يتوافق مع عقيد أهل البيت عليهم السلام.

أولاً: العصمة لغة واصطلاحاً:

العصمة في اللغة هي المنع والوقاية، قال في القاموس: (اعصم، يعصم: اكتسب ومنع، ووقى... والعصمة بالكسر المنع)[1].

وجاء في كتاب العين: (أن يعصمك الله من الشر، أي: يدفع عنك. واعتصمت بالله، أي: امتنعت به من الشر. واستعصمت، أي: أبيت. وأعصمت، أي: لجأت إلى شيء اعتصمت به)[2].

وفي لسان العرب: (العصمة في كلام العرب: المنع. وعصمة الله عبده: أن يعصمه مما يوبقه. عصمه يعصمه عصماً: منعه ووقاه، وفي التنزيل: لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم، أي: لا معصوم إلا المرحوم)[3].

---

(١) القاموس، الفيروز آبادي، ج٤، ص ١٥١.

(٢) العين، الفراهيدي، ج١، ص ٣١٣.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، ج١٢، ص ٤٠٣.

أما العصمة اصطلاحاً فهي: (المنع من ارتكاب المعصية والوقاية من كل رجس).

أو هي: (ملكة ربانية تمنع من فعل المعصية والميل إليها مع القدرة عليها)[١].

قال السيد الطباطبائي: (إن الأمر الذي تتحقق به العصمة نوع من العلم يمنع صاحبه عن التلبس بالمعصية والخطأ، وبعبارة أخرى علم مانع عن الضلال، كما أن سائر الأخلاق كالشجاعة والعفة والسخاء كل منها صورة علمية راسخة موجبة لتحقق آثارها، مانعة عن التلبس بأضدادها من آثار الجبن والتهور والخمود والشره والبخل والتبذير)[٢].

وبذلك يتوضح المراد بالعصمة، ذلك أنها أساس في الهداية، فكيف بشخص يدعي الهداية وهو غير معصوم، وكيف له أن يهدي الناس وهو لا يعرف الهداية.

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[٣].

(١) العصمة، الإحسائي، ص ٣٨.

(٢) الجواهر النورانية، رضوان سعيد فقيه، ص ١٥١.

(٣) سورة يونس، الآية (٣٥).

ثانيا: أهمية العصمة ووجوبها عقلاً:

إن الواسطة بين اللَّه وعباده ـ أي النبي ـ يجب أن يكون معصوماً، بمعنى أنه يجب أن يتمتع بملكة نفسية قوية تمنعه من ارتكاب المعصية حتى في أشد الظروف، وتنبع هذه الملكة من الوعي التام بقبح المعصية والإرادة القوية لضبط الميول النفسية، وهذه تتحقق بالعناية الإلهية الخاصة.

يقول الشيخ محمد رضا المظفر: (ونعتقد أن الإمام كالنبي يجب ان يكون معصوماً من جميع الرذائل والفواحش، ما ظهر منها وما بطن، من سن الطفولية إلى الموت، عمداً وسهواً، كما يجب ان يكون معصوماً من السهو والخطأ والنسيان؛ لأن الأئمة حفظة الشرع، والقوامون عليه، حالهم في ذلك حال النبيﷺ، والدليل الذي اقتضانا أن نعتقد بعصمة الأنبياء هو نفسه يقتضينا أن نعتقد بعصمة الأئمة بلا فرق)[١].

قال المحقق اللاهيجي: (والحق وجوب العصمة، لأنه كما أن وجود الإمام لطف كذلك تكون العصمة لطفاً، بل لطفية وجوده لا تتحقق بدون العصمة)[٢].

أما الدليل على العصمة: فأنه لو لم يكن النبي معصوماً لكان محل إنكار ومورد عتاب كما في قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾[٣]،

(١) بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية، محسن الخرازي، ج٢، ص٣٩.
(٢) رأس مال المؤمن، ص ١١٤.
(٣) سورة البقرة، الآية (٤٤).

وأيضاً قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۞ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾[1]، فمن الطبيعي أن يكون النبي معصوماً يأتمر بما يأمر وينتهي عمَّا ينهى حتى لا يُنكر عليه من أحد وحتى يحصل الوثوق به وبتبليغه ويُعتمد عليه في إخراج الناس من الظلمات إلى النور.

نعم، (إن الأمر الذي تتحقق به العصمة؛ نوع من العلم يمنع صاحبه عن التلبس بالمعصية والخطأ، وبعبارة أخرى علم مانع عن الضلال، كما أن سائر الأخلاق كالشجاعة والعفة والسخاء؛ كل منها صورة علمية راسخة موجبة لتحقق آثارها، مانعة عن التلبس بأضدادها من آثار الجبن والتهور والخمود والشره والبخل والتبذير)[2].

ثالثا: أنحاء وأقسام العصمة:

أما لو أردنا الكلام عن أنحاء العصمة فيمكن ان نذكر أمرين مهمين هما:

١ـ العصمة من الذنوب: الأنبياء معصومون من ارتكاب الذنوب صغيرها وكبيرها لأنه لو كان مرتكباً للذنوب لأصبح ظالماً إما لنفسه أو لغيره وهو خلاف العصمة التي جُعلت شرطاً في الإمامة كما ذكرنا في قوله تعالى لإبراهيم عليه السلام: ﴿لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

(١) سورة الصف، الآية (٢ ـ ٣).

(٢) الجواهر النورانية، رضوان سعيد فقيه، ص ١٥١.

٢ـ العصمة عن الخطأ والاشتباه: لأن النبي لو اشتبه وأخطأ يكون خلاف كونه هادياً حيث يحتمل الاشتباه حينها في كل قول وتبليغ وحكم وهذا نقض للغرض الذي أرسل الأنبياء لأجله لأنهم عليهم السلام بعثوا هداة مهديين.

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾[١].

وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[٢].

وقال سبحانه وتعالى بحق رسوله الكريم: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[٣].

أما السيد الطباطبائي فيشير إلى أن العصمة على ثلاثة أقسام هي: (العصمة عن الخطأ في تلقي الوحي، والعصمة عن الخطأ في التبليغ والرسالة، والعصمة عن المعصية، وهي ما فيه هتك حرمة العبودية ومخالفة مولوية، ويرجع بالآخرة إلى قول أو فعل ينافي العبودية منافاة ما، ونعني بالعصمة وجود أمر في الإنسان المعصوم يصونه عن الوقوع فيما لا يجوز من الخطأ أو المعصية)[٤].

---

(١) سورة الأنبياء، الآية (٧٣).

(٢) سورة الأنعام، الآية (٩٠).

(٣) سورة النجم، الآية (٣) ـ (٤).

(٤) الجواهر النورانية، رضوان سعيد فقيه، ص ١٥٤.

ما هي مؤهلات المعصوم

من اليقين ان تكون لشخص الإمام المعصوم عليه السلام مؤهلات خاصة يتمتع بها، ويتميز بها عن غيره، ومن تلك المؤهلات:

أولاً: الاصطفاء:

أي الاصطفاء الإلهي منه تعالى لشخص الإمام عليه السلام دون غيره من سائر البشر.

فكما يصطفي تعالى الأنبياء من عنده، فإنه تعالى يصطفي لهم الأوصياء من بعدهم ليتقلدوا تلك المناصب، فهو تعالى قد اصطفى النبي صلى الله عليه وآله وكذلك قد اصطفى له أئمة من بعده أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى

---

(١) سورة آل عمران، الآية (٣٣).

فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[١]. وآيات قرآنية أخرى[٢].

ثانيا: العصمة:

فتلك صفة وشرط لا بد للإمام والوصي على الناس أن يتمتع بها.

وعن هذه الصفة يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «أن يعلم الإمام المتولي عليه أنه معصوم من الذنوب كلها صغيرها وكبيرها لا يزل في الفُتيا، ولا يخطئ في الجواب، ولا يسهو ولا ينسى، ولا يلهو بشيء من أمر الدنيا»[٣].

وعن علي بن الحسين عليه السلام: «الإمام منا لا يكون إلا معصوماً، وليست العصمة في ظاهر الخلقة فيعرف بها، ولذلك ما يكون إلا منصوصاً. فقيل له: يا ابن رسول الله فما معنى المعصوم:

فقال عليه السلام: المعتصم بحبل الله، وحبل الله هو القرآن، لا يفترقان إلى يوم القيامة، والإمام يهدي إلى القرآن، والقرآن يهدي إلى الإمام...»[٤].

أما آراء علمائنا في هذه (العصمة) فهي كثيرة وواضحة في بيانها، ومن هذه الآراء:

---

(١) سورة الأعراف، الآية (١٤٤).

(٢) كـ: الآية (١٣٠) والآية (٢٤٧) من سورة البقرة، والآية (٥٩) من سورة النمل، والآية (٣٢) من سورة فاطر.

(٣) رسالة المحكم و المتشابه، الشريف المرتضى، ص ١٣٨ ـ ١٤٠.

(٤) معاني الأخبار، الصدوق، ص ١٣٢، وبحار الأنوار، ج٢٥، ص ١٩٤، وتفسير الصافي، ج١، ص ٣٦٥.

١ـ يقول الشيخ المفيد: (العصمة لطف يفعله الله سبحانه بالمكلف؛ بحيث يمتنع منه وقوع المعصية، وترك الطاعة، مع قدرته عليها)[١].

٢ـ وقال الخواجة نصير الدين الطوسي: (العصمة هي: كون المكلف بحيث لا يمكن أن يصدر عنه المعاصي، من غير إجبار له على ذلك)[٢].

٣ـ وقال العلامة الحلي في كتابه الباب الحادي عشر: (العصمة لطف خفي يفعل الله تعالى بالمكلف بحيث لا يكون له داع إلى ترك الطاعة، وارتكاب المعصية، مع قدرته على ذلك)[٣].

فأي فضل سيكون لشخص غير معصوم على الناس، وأي مائز سيكون له، وأي سمة للاصطفاء بلا صفة مائزة وبلا تشريف إلهي كصفة ومائز (العصمة):!

ثالثا: المنصب (منصب الإمامة الإلهية):

و تختلف حقيقة الإمامة عند أهل السنة من المسلمين، عما هي عليه عند الشيعة. فقد فسرها السنة بما اعتقدوه في الإمامة من الخلافة الظاهرية والإمارة. وقالوا: ان الإمامة عند الأشاعرة، هي خلافة الرسول في إقامة الدين وحفظ حوزة الملة، بحيث يجب إتباعه في كافة الأمور[٤].

(١) النكت الاعتقادية، المفيد، ص ٣.
(٢) قواعد العقائد، نصير الدين الطوسي، ص ٤٥٥.
(٣) الباب الحادي عشر، العلامة الحلي، ص ٣٧.
(٤) دلائل الصدق، محمد حسين المظفر، ج٢، ص ٤.

إن الإمامة عند الشيعة، أعم من الخلافة الظاهرية، بل يمكن للإمام أن يكون إماماً من دون أن يكون خليفة، فيما لو منعه مانع من استلام زمام الخلافة (الحكم).

يقول الشيخ مرتضى المطهري في المقام: (... لزم علينا أن لا نخلط مسألة الإمامة مع مسألة الحكومة، ونقول: إن العامة ماذا تقول: ونحن ماذا نقول: بل مسألة الإمامة مسألة أخرى، ومفهوم نظير مفهوم النبوة، بما لها من درجاتها العالية. وعليه فنحن معاشر الشيعة نقول بالإمامة، والعامة لا تقول بها أصلاً، لا أنهم قائلون بها ولكن اشترطوا فيها شرائط أخرى)[1].

(١) الإمامة و القيادة، مرتضى المطهري، ص ١٦٣.

شبهات حول العصمة

لقد أثيرت الكثير من الشبهات حول العصمة، ومن هذه الشبهات؛ ان الإمامية الاثني عشرية وبسبب ادعائهم العصمة لأئمتهم قد أوصلوهم لمقام الإلوهية: !

للجواب عن ذلك نقول:

إن رد هذا المدعى يقتضي إيراد أمرين أساسيين هما:

الأمر الأول: ذكر الأحاديث الواردة عن الأئمة المعصومين عليهم السلام في المنع من الغلو والمغالات فيهم وفي غيرهم، ومن هذه الأحاديث:

١ـ قال الإمام الرضا عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: «لا ترفعوني فوق حقي فإن الله تبارك وتعالى اتخذني عبداً قبل ان يتخذني نبياً»[١].

٢ـ قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «إياكم والغلو فينا، قولوا عبيد مربوبون، وقولوا في فضلنا ما شئتم»[٢].

---

(١) عيون أخبار الرضا، ص ٢١٧.

(٢) الخصال، الصدوق، ص ٦١٤.

٣ـ قال الإمام الصادق عليه السلام: «احذروا على شبابكم من الغلاة لا يفسدونهم فإن الغلاة شر خلق الله يصغرون عظمة الله ويدعون الربوبية لعباد الله، والله ان الغلاة شر من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا)[١].

٤ـ قال الإمام الرضا عليه السلام: «فمن ادعى للأنبياء ربوبية وادعى للأئمة ربوبية أو نبوة أو لغير الأئمة إمامة فنحن منه براء في الدنيا والآخرة)[٢].

الأمر الثاني: إيراد آراء علماء الإمامية بشأن الغلو والمغالات، والتي منها:

١ـ قال الشيخ الصدوق: (اعتقادنا في الغلاة والمفوضة أنهم كفار بالله تعالى، وأنهم شر من اليهود والنصارى والمجوس والقدرية والحرورية ومن جميع أهل البدع والأهواء المضلة)[٣].

٢ـ قال الشيخ المفيد: (والغلاة من المتظاهرين بالإسلام هم الذين نسبوا أمير المؤمنين والأئمة من ذريته عليهم السلام إلى الالوهية... وهم ضلال كفار...)[٤].

٣ـ قال الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء: (أما الشيعة الإمامية

(١) الأمالي، الطوسي، ص ٢٥٠.
(٢) عيون أخبار الرضا، ج١، ص ٢١٧.
(٣) الاعتقادات، الصدوق، ص ٩٧.
(٤) تصحيح الاعتقادات، المفيد، ص ١٣١.

وأئمتهم عليهم السلام فيبرؤون من تلك الفرق براءة تحريم، ويبرؤون من تلك المقالات، ويعدونها من أشنع الكفر والضلالات، ليس دينهم إلا التوحيد المحض، وتنزيه الخالق عن كل مشابهة للمخلوق)[1].

وبذلك يتبين مدى تهافت هذه الشبهة، فقد صرح النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بأنه ومهما بلغ من المقامات فإنه عبد من عبيد الله تعالى، وفي هذا المورد آيات وروايات متضافرة، فإن كان هذا حال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله فكيف بحال أئمة أهل البيت عليهم السلام وهم الذين يأتون بعده صلى الله عليه وآله في المقام.

إنها مجرد مدعيات وشبهات ساقتها ايدي الأعداء، طفحت بها صدور الحاسدين والمبغضين، ولاكتها أفواه أعداء التوحيد ممن لا يريد للبشرية الخير ممن قد أصبح مطية للشيطان وعبداً للشهوات.

(١) أصل الشيعة واصولها، محمد حسين كاشف الغطاء، ص ٣٨.

ما بين الإمامة والخلافة

إن موضوع الإمامة والخلافة يعد من المواضيع المتشابكة، والتي كثر فيها الخلط والتي تحتاج إلى توضيح وفرز، فالبعض لا يميز ما بين الأثنين فعنده كلاهما واحد فيعتبرهما مترادفان، والبعض الآخر يخلط ما بين المعنى اللغوي والاصطلاحي ولا يميز ما بينهما، والبعض يساوي كل معاني (الخلافة) في القرآن الكريم فيظنها واحدة، والبعض يسقط عليها فهمه الخاص أو فهم طائفته ومذهبه، وهنا لا بدّ لنا من توضيح ذلك بأبسط الصور الممكنة، وهذا يتطلب التدرج في البحث في نقاط مهمة هي:

أولاً: الخلافة لغةً واصطلاحا:

الخلافة في اللغة: الخلافة: ـ بالكسر ـ تأتي بمعنى الإمارة[1]، ويقال: خلف فلان مكان أبيه، إذا جاء بعده فصار مكانه، فهو خليفة[2]، وتأتي أيضاً بمعنى الإمامة[3]، والفرق بينهما أن الإمامة مأخوذة من التقدم، فهو

(١) تاج العروس، ج٦، ص ١٠٠.

(٢) لسان العرب، ج٤، ص ١٨٤.

(٣) المعجم الوسيط، ج١، ص ٢٥١.

المتقدم فيما يقتضي وجوب الاقتداء بغيره، وفرض طاعته فيما تقدم فيه[١].

الخلافة في المصطلح الإسلامي: (ورد مصطلح (خليفة الله في الأرض) في المصطلح الإسلامي بمعنى من اصطفاه الله من البشر وجعله إماماً للناس وحاكماً... وقد جعل الله تعالى خلفاء في الأرض أئمة للناس وآتاهم الكتاب والنبوة... فإن من جعله الله خليفة في الأرض يحكم بين الناس، جعله ـ أيضاً ـ إماماً لهم يهديهم بكتاب الله ويبلغهم شريعته. وبناءً على ذلك يكون أهم وظائف خلفاء الله التبليغ...)[٢].

ثانيا: الخلافة في القرآن الكريم:

إن الخلافة في القرآن الكريم قد ذكرت لتعبر عن مفهوم الاصطفاء والنيابة، سواء أكان من خلال استخلاف النوع الإنساني لتمييزه عن باقي المخلوقات، أو من خلال استخلاف جماعة بشرية معينة من بين الجماعات البشرية الخرى، أو استخلاف قائد رباني عن بقية أبناء قومه ليكون خليفة لله تعالى عليهم، هذه المعاني الثلاثة موجودة في آيات القرآن الكريم، لذلك نقول: إن من الآيات التي ذكرت (خليفة) و(خلافة) و(خلفاء) و(خلائف) هي:

١ـ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ

(١) معجم الفروق اللغوية، ص٢٢٢.

(٢) المصطلحات الإسلامية، مرتضى العسكري، ص ٦٨ ـ ٦٩.

بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[١].

٢ـ قال تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾[٢].

٣ـ قال تعالى: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٣].

٤ـ قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[٤].

٥ـ قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾[٥].

٦ـ قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[٦].

---

(١) سورة البقرة، الآية (٣٠).

(٢) سورة ص، الآية (٢٦).

(٣) سورة الأعراف، الآية (٦٩).

(٤) سورة الأعراف، الآية (٧٤).

(٥) سورة النمل، الآية (٦٢).

(٦) سورة الأعراف، الآية (١٤٢).

٧ـ قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[١].

٨ـ قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[٢].

٩ـ قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾[٣].

١٠ـ قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾[٤].

أما أشهر معاني (خليفة) في القرآن الكريم فهي[٥]:

أ) الخليفة بعينه: قال تعالى: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾.

ب) الذي يخلف: قال تعالى: ﴿ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى﴾.

ج) السكّان: قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

---

(١) سورة الأنعام، الآية (١٦٥).

(٢) سورة يونس، الآية (١٤).

(٣) سورة يونس، الآية (٧٣).

(٤) سورة فاطر، الآية (٣٩).

(٥) وجوه القرآن، النيسابوري، ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨.

د) البدل: قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً ﴾.

ثالثا: الخلافة في الأحاديث:

أ) قال رسول الله ﷺ: «لا يزال أمر الناس ماضياً، ما وليهم أثنا عشر خليفة، كلهم من قريش»[١].

ب) وقال ﷺ: «لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة، ويكون عليهم اثنا عشر خليفة، كلهم من قريش»[٢].

ج) جملة من الأحاديث الأخرى الدالة على نفس الألفاظ وهي[٣]:

١ـ لا يزال الدين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة.

٢ـ لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة.

٣ـ لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة.

٤ـ لا يزال الدين ظاهراً على من ناوأه حتى يمضي من أمتي اثنا عشر خليفة.

---

(١) ينابيع المودة، القندوزي، ص ٣٠٧ ـ ٣٠٨، وفرائد السمطين، ج٢، ص ١٤٨.

(٢) صحيح البخاري، ج٦، ص ٢٦٤٠، ح٦٧٩٦، وصحيح مسلم، ج٤، ص ١٠٠، ح١٨٢١، والصواعق المحرقة، ص ١٨٩.

(٣) ينظر: صحيح البخاري، ج٦، ص ٢٦٤٠، ح٦٧٩٦، وصحيح مسلم، ج٤، ص ١٠٠، ح١٨٢١، مسند أحمد بن حنبل، ج٥، ص ٨٦ ـ ١٠٨، مستدر الحاكم النيسابوري، ج٣، ص ٦١٨.

٥ـ لا يزال هذا الأمر صالحاً حتى يكون اثنا عشر أميراً.

٦ـ لا يزال الناس بخير إلى اثني عشر خليفة.

وبهذا الشأن يقول القندوزي الحنفي (ت ١٢٩٤هـ): (إن الأحاديث الدالة على كون الخلفاء بعده اثني عشر، قد اشتهرت من طرق كثيرة، ولا يمكن ان يحمل هذا الحديث على الخلفاء بعده من الصحابة، لقلتهم عن اثني عشر، ولا يمكن ان يحمل على الملوك الأمويين لزيادتهم على الاثني عشر ولظلمهم الفاحش... ولا يمكن ان يحمل على الملوك العباسيين لزيادتهم على العدد المذكور... وحديث الكساء، فلا بدّ من أن يحمل على الأئمة الاثني عشر من أخل بيته وعترته، لأنهم كانوا أعلم أهل زمانهم، وأجلهم، وأورعهم، وأتقاهم، وأعلاهم نسباً، وأفضلهم حسباً، وأكرمهم عند الله، وكانت علومهم عن آبائهم متصلة بجدهمﷺ وبالوراثة اللّدنية، كذا عرفهم أهل العلم والتحقيق، وأهل الكشف والتوفيق. ويؤيد هذا المعنى ويرجحه حديث الثقلين والأحاديث المتكثرة...)[1].

إذاً فالمتفق عليه، والمتعارف هو كون الأئمة من بعده، أو الخلفاء من بعدهﷺ هم اثنا عشر كعدد، لكن وقع الكلام في المراد بقيد (قريش) وهل هو قد أُضيف من قِبل الرواة، أو هو من وضع الوضاّع، أم من إضافات السلاطين ووعاظهم:

---

(١) ينابيع المودة، ص ٤٤٦.

بهذا الصدد يقول الأستاذ إدريس هاني: (وإذا تبين سابقاً أن الأئمة والخلفاء هم اثنا عشر فدعنا نرى هل ذلك ينطبق على الاثني عشر من أهل البيت المتعارف عليهم عند شيعتهم:

إن مجرد ادعاء الاثني عشرية في غياب أي مدعٍ لها، دليل على ان مقصود الرواية منصرف إلى المدعي. وان مجرد ادعاء أهل البيت لها كافٍ للاعتراف بها لأنه ليس ثمة حي هو أشرف وأنبل في قريش منها. إن اطلاق قريش في الحديث لا وجه يعضده، إذ في قريش من هو من صناديد الشرك. وفيهم من غير طهارة المولد. ولا أحد يشك في ان بني هاشم هم من أشرف بطون قريش وأشهرها في خدمة الدين. وقد عززهم القرآن بقوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرًا﴾، فإذا اجتمعت طهارة المولد ورفعة الشرف مع صفة العلم والهداية. كان من العقل ترجيح الأفضل على المفضول، ولا ينعكس ذلك لما فيه من مناقضة لمباني العقلاء وصريح النصوص. هذا فيما لو ثبت ان الرسول صلى الله عليه وآله قد أطلق لفظة قريش، وإلا فإن بعض الطرق التي روي بها حديث الاثني عشر تشمّ منها رائحة التدليس والتلبيس.... ونجد في نهج البلاغة شرحاً مبيناً لمعنى الأئمة من قريش، يقول الإمام علي عليه السلام: «إن الأئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم، لا تصلح على سواهم ولا يصلح الولاة من غيرهم»... ان أهل البيت هم المرشحون لهذا الوصف لما دلت عليه آثارهم والنصوص

المستفيضة من حولهم...)[١].

رابعا: الإمامة والخلافة عند أهل السنة:

إن الغالب على تعريفات الإمامة والخلافة عند علماء أهل السنة ـ قديمهم وحديثهم ـ إعطاء الطابع السلطوي والتنفيذي والرئاسي للخليفة[٢]، فلا ينفك اطلاقه عن التمكين السلطوي، ومع عدم وجود تمكين سلطوي لا يصح اطلاق الخليفة أو الإمام عليه، وبذلك فإن دور (الخليفة) أو (الإمام) يشمل دور: إقامة الحدود، وتدبير أمور الأمة، وتنظيم الجيوش، وسد الثغور، وردع الظالم، وحماية المظلوم، وقيادة المسلمين في حجهم وغزوهم، وتقسيم الفيء بينهم[٣].

على الرغم من خطورة الأمر عندهم، وأهميته إلا أنهم يرون بأن هذا الأمر قد أوكل إلى الصحابة ابتداءً، وإلى الناس في كل عصر ليختاروا أولياء أمورهم، ولا ندري كيف يمكن الجمع بين ما تقدم وبين إيكاله إلى عامة الناس:!

خامسا: الإمامة والخلافة عند الشيعة:

إن منصب الإمامة أو الخلافة عند الشيعة الإمامية هو (ديني) بالأصل، وما قضايا السياسة أو السلطة أو الحكومة إلا اضافات قد تضاف

(١) الخلافة المغتصبة، إدريس هاني، ص ٧٧ ـ ٧٨.

(٢) في النظام السياسي للدولة الإسلامية، محمد سليم العوا، ص ١٢٦.

(٣) الأحكام السلطانية، الماوردي، ص ١٥ ـ ١٦.

إليه، فهو منصب مستقل بحد ذاته يتعلق بالأمور (الدينية) بالدرجة الأولى، فمهمة الإمام عند الشيعة هي استخلاف النبيﷺ في وظائفه من هداية البشر، وإرشادهم إلى ما فيه صلاحهم، فهو يبين لهم الأحكام، ويفسر لهم القرآن، ويوضح لهم المعارف، ويشرح لهم المقاصد، ويصون الدين من التحريف والدس.

فالإمامة عند الشيعة هي منصب إلهي، وهي امتداد واستمرار للنبوة باستثناء الوحي التشريعي، ولابدّ أن يكون تنصيب أو اختيار أو اصطفاء الإمام من الله سبحانه وتعالى على لسان النبيﷺ.

إما عن الخلافة الحقيقية عند الشيعة الإمامية فهي (كالإمامة شأن ديني، نابع من صميم الفرد وامكانياته الذاتية، سواء مارس الخلافة وتحققت له الغلبة أم لا. أنها شأن يقاس بالنبوة في معنى الاختصاص، من حيث أن النبوة ما دامت أنها اختيار مولوي لا شأن للبشر فيه، فهي تثبت مع الغلبة ودونها. فالنبيﷺ لا يلغي نبوته افتقاده للعصبية والغلبة. فهو نبي سواء احتضنه قومه أو رفضوه. والإمامة على ذلك النحو أمر لا يلغيه افتقاد العصبية)[١].

نعم، (لا ينحصر دور الإمام في الحكومة السياسية فقط، وهذه نقطة مهمة كانت وما زالت محل التباس في الوعي الإسلامي عند أهل

(١) الخلافة المغتصبة، إدريس هاني، ص ٦٥.

السنة؛ ظناً منهم أن الشيعة تقول بانحصار دور الإمام في الحكم السياسي فحسب، فإذا لم يكن حاكماً لم يكن إماماً، مع أن الأمر ليس كذلك، بل الإمامة قيادة وهداية للأمة في كل مجالات الحياة وعلى جميع الأصعدة، فأهل البيت عليهم السلام الذين ثبتت عصمتهم وشرافة علمهم هم الأجدر والأحق في تسنم تلك المناصب، ولذلك نصب الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام من بعده للإمامة بكافة أبعادها. ومن ذلك كله يتضح أن إقصاء أهل البيت عليهم السلام عن موقعهم، وهو القيادة والحكومة السياسية ـ التي تعتبر أحد أبعاد الإمامة ـ لا يعني زوال إمامتهم التي ثبتت بجعلٍ إلهي وتنصيبٍ نبوي، بل على الأمة تقديمهم واتباعهم والإقتداء بهم...)[1].

(١) الأجوبة الوافية، لجنة تأليف، ج١، ص ٢٢ ـ ٢٣.

ما هي الخلافة الحقيقية

إن هناك حقوق متبادلة بين الراعي والرعية لا بد من مراعاتها من قِبل كلا الطرفين، فالراعي باعتباره الحاكم والإمام والقائد هو مسؤول عن رعيته، فهو بمثابة الأب، وكل الرعية هم أبناءه حتى من خالف منهم، ان إذ عليه ارشاده ورعايته وهدايته للطريق الصحيح.

أما ما على الرعية من واجب فهو الطاعة لراعي أمرها، لكن للراعي الحقيقي، للقائد الذي تتوفر فيه صفات القيادة، للحريص على الأمة، الحكيم في جميع أعماله وتصرفاته، في مقابل ذلك على الرعية أن تقف بوجه الراعي لو انحرف عن الطريق، وحاد عن جادة الصواب.

هنا يرسم لنا أمير المؤمنين عليه السلام الحقوق المتبادلة بين الراعي والرعية، وواجب كل طرف تجاه الآخر:

يقول عليه السلام: «أيها الناس إن لي عليكم حقاً، ولكم علي حق:

فأما حقكم علي: فالنصيحة لكم، وتوفير فيئكم عليكم، وتعليمكم كيلا تجهلوا، وتأديبكم كيما تعلموا.

وأما حقي عليكم: فالوفاء بالبيعة، والنصيحة في المشهد والمغيب، والإجابة حين أدعوكم، والطاعة حين أمركم»[١].

أولاً: الحق الذي على راعي الأمة:

١ ـ النصيحة: أي أن ينصحهم، ويتوخى ما ينفعهم فيدلهم عليه.

٢ ـ توفير الفيء: أن يوفر لهم اقواتهم من بيت المال لأنها أولاً وآخراً أموال المسلمين جميعاً.

٣ ـ التعليم: أي أن يبعد عنهم الجهل لأنه أساس كل دمار وخراب.

٤ ـ التأديب (التربية): أي أن يشيع الآداب العامة والصالحة، وان يؤدب المسيئين بشكل حتى يرجعوا إلى جادة الصواب، وان يقيم حدود الله، وينشر العدل في الرعية.

(أول حق للشعب على الحاكم الإسلامي هو النصيحة. ومن الطبيعي ان كلمة النصيحة لا ينحصر معناها في الوعظ والإرشاد، بل متى ما استخدمت هذه الكلمة فهي تحمل بين ثناياها معاني الصدق، والصفاء، والإخلاص، والحرص، وارادة الخير. وهذا يعني ان الحاكم الإسلامي يجب أن يكون حريصاً على ما فيه خير الشعب بالكلام والعمل، وأن يكون مهتماً بتأمين الخير والصلاح لهم.

الحق الثاني للشعب على الحاكم الإسلامي هو ان يعمل على

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٣٤، ٩٢.

زيادة الدخل العام والتقدم الاقتصادي... ويجب على الحاكم الإسلامي المحافظة على هذه الأموال وتنميتها بحيث يستفيد منها الجيل الحالي والأجيال المقبلة. وهذه الأموال وهي التي تسمى باسم (أموال المجتمع الإسلامي) أو (أموال الأمة الإسلامية) ليست ملكاً لشخص أو جماعة معينة بل وليست ملكاً حتى للدولة. وعلى الحاكم الإسلامي السعي لحفظ هذه الأموال والانتفاع منها بشكل صحيح من أجل توفير أكثر ما يمكن من الرفاه الاقتصادي لأبناء الشعب... ومن الواجبات الأخرى للحاكم الإسلامي شؤون التعليم والتربية... ومسألة) التأديب (باعتباره واحداً من واجبات الحاكم الإسلامي. وقد ذُكر (التأديب) هنا بمعزل عن (التعليم) والمراد من (التأديب) هو (التزكية)... وربما كان مراد أمير المؤمنين عليه السلام من (التأديب) معنى آخر... هو عبارة عن: (الأشراف على سلوك الناس) بمعنى تقويم سلوك الناس ورعاية القيم والحيلولة دون وقوع انفلات أخلاقي)[١].

ثانيا: الحق الذي على الرعية:

١ ـ الوفاء بالبيعة: أن يفوا ببيعتهم له، وبما تستلزمه البيعة من واجبات.

٢ ـ النصيحة في المشهد والمغيب: أي النصيحة للحاكم في حال الحضور وفي حال الغياب على حدٍ سواء.

(١) النظرية الحقوقية في الإسلام، محمد تقي مصباح اليزدي، ج٢، ص ٢٤٣ – ٢٤٤.

٣ ـ الإجابة حين الدعوة من قبل راعي الأمة: إذ من الواجب على الرعية الإجابة للحاكم لو دعاهم إلى أي أمر فيه خيرهم وصلاحهم.

أما لو دعاهم إلى عكس ذلك، فعليهم الرفض وعدم الانصياع له.

٤ ـ الطاعة: أي أن يطيعوا الحاكم الجامع للشرائط بلا أي تسويف ولا تأخير مطلقاً.

بين أمير المؤمنين عليه السلام للناس أن لهم حقوقاً عليه وله حقوقاً عليهم، إذ أن للوالي حقوق، كما للرعية حقوق ايضاً.

لقد قدم عليه السلام حقهم عليه بأن لهم عليه أن ينصحهم، ويتوخى لهم ما ينفعهم فيدلهم على الطريق القويم، فيوفر لهم فيئهم، إذ هي اموالهم فلا يصرفها الحاكم على نفسه أو على شهواته ومصالحه وحواشيه.

وكذلك على الحاكم أن يبذل جهده في تعليم رعيته، وأن يؤدب المسيئين ممن يتجاوزون على القانون، وان يقيم الحدود بما يرضي الله تعالى.

أما حق الحاكم على رعيته فهو أن يفوا ببيعتهم له، وأن يكونوا حال غيابه كما هم في حال حضوره، إذ ان واجب الرعية نصح الحاكم لو وجدوا موضعاً للنصيحة، كما وإذا دعاهم لخيرهم ولصلاحهم فإن عليهم الإجابة والطاعة بدون تسويف أو تأخير لأن الحاكم يتحرى مصلحة شعبه وما فيه خير ونفع لهم.

قال عليه السلام: «... وأعظم ما أفترض سبحانه من تلك الحقوق، حق الوالي

على الرعية، وحق الرعية على الوالي، فريضة فرضها الله سبحانه لكلٍ على كل، فجعلها نظاماً لألفتهم، وعزاً لدينهم، فليست تصلح الرعية إلا بصلاح الولاة، ولا تصلح الولاة إلا باستقامة الرعية.

فإذا أدت الرعية إلى الوالي حقه، وأدى الوالي إليها حقها، عز الحق بينهم، وقامت مناهج الدين، واعتدلت معالم العدل، وجرت على إذلالها السنن، فصلح بذلك الزمان، وطمع في بقاء الدولة، ويئست مطامع الأعداء.

وإذا غلبت الرعية واليها، أو أجحف الوالي رعيته، اختلفت هنالك الكلمة، وظهرت معالم الجور، وكثر الإدغال[١] في الدين، وتركت محاج السنن، فعمل بالهوى، وعطلت الأحكام، وكثرت علل النفوس، فلا يستوحش لعظيم حق معطل، ولا لعظيم باطل فعل فهنالك تذل الأبرار، وتعز الأشرار، وتعظم تبعات الله سبحانه عند العباد.

فعليكم بالتناصح في ذلك، وحسن التعاون عليه، فليس أحد ـ وإن أشتد على رضا الله حرصه، وطال في العمل اجتهاده ـ ببالغ حقيقة ما الله سبحانه أهله من الطاعة له. ولكن من واجب حقوق الله على عباده النصيحة بمبلغ جهدهم، والتعاون على إقامة الحق بينهم...»[٢].

يوضح لنا أمير المؤمنين عليه السلام الأسس والتبعات التي تتبع الطاعة المتبادلة بين الراعي والرعية بالحق، وكذلك فيما لو لم يقم العدل بين

(١) الفساد.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ٢١٤، ٤١٠.

الراعي والرعية على وجهه الصحيح.

ثالثا: ملامح ما لو تمت العلاقة:

إن من ملامح ما لو أدت الرعية حق الوالي، وأدى الوالي حق الرعية هي:

١ـ عز الحق بينهم: من العزة والمنعة، أي صار الحق عزيزاً مهاباً محترماً.

٢ـ قامت مناهج الدين: أي طبقت، وقيامها أي تطبيقها بشكلٍ صحيح، من القيام وهو عكس الرقاد.

٣ـ اعتدلت معالم العدل: أي استشرى العدل وانتشر وبانت معالمه في الرعية.

٤ـ صلح بذلك الزمان: صلح الزمان بصلاح أهل الزمان.

٥ـ طمع في بقاء الدولة: إذ يُطمع ببقاء مثل هكذا دولة تقيم العدل وتأمر به كمنهج لرعيتها وفق نظام ديني قائم على الطاعة والاحترام.

٦ـ يئست مطامع الأعداء: فبمثل هكذا دولة متراحمة ومتحابة ومتعاونة لن يستطيع الأعداء بالداخل أو بالخارج أن يفعلوا ما يخرب هذا النظام وصفو العيش السائد.

رابعا: ملامح ما لو انفرطت العلاقة:

وإن من ملامح ما لو غلبت الرعية واليها أو أجحف الوالي حق رعيته:

١ـ اختلفت هنالك الكلمة: فمع الظلم والاجحاف ستختلف الكلمة، وتحدث الثورات، والاعتراضات، وسيستشري عدم الطاعة.

٢ـ ظهرت معالم الجور: سيكون الجور هو المَعلم الرئيسي لمثل هكذا حكومة.

٣ـ كثر الإدغال في الدين: أي الإدخال غير الصحيح، من كثرة الطعن والتحريف بالدين من أجل المصالح الدنيوية.

٤ـ عمل بالهوى: أي عمل بالأهواء والرغبات التي هي بدوافع الشهوات.

٥ـ عطلت الأحكام: يقيناً ستعطل الأحكام الإلهية، بل وحتى الوضعية في مثل هكذا حكومة.

٦ ـ كثرت علل النفوس: أي الأمراض النفسية جراء الظلم، والجور، والفساد، وتردي الأخلاق.

٧ـ تذل الأبرار: إذ لا مكان لهم في مثل هكذا حكومة.

٨ـ تعز الأشرار: وذلك لأنهم أهل لمثل هكذا حكومة فهم غوغائها وقادتها وحكامها.

بل ان حب الوطن من الواجبات على الرعية، فمن الواجب على المواطن أن يدافع عن وطنه في حال السلم والحرب، وفي ذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام في المتخاذلين من الدفاع عن أوطانهم: «أي دار بعد داركم

تمنعون»[١]، وقال عليه السلام: «فوالله ما غزي قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا»[٢].

أما عن الغاية الحقيقية من حكم الرعية (الأمة)، يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان، ولا التماس شيءٍ من فضول الحطام ولكن لنرد المعالم من دينك ونظهر الإصلاح في بلادك، فيأمن المظلومون من عبادك وتُقام المعطلة من حدودك.

اللهم أني أول من أناب وسمع وأجاب، لم يسبقني إلا رسول الله صلى الله عليه وآله بالصلاة»[٣].

يبين لنا أمير المؤمنين عليه السلام الغاية الحقيقية من حكم الرعية، إذ هو يرسم دستوره (العلوي) بنماذج شفافة، من كلام رقيق وواقعي، لبرأ فيه ساحته من أن يكون طالباً لحطام الدنيا في يومٍ من الأيام.

خامسا: أسس مهمة:

وهنا نورد النقاط الرئيسية في حديثه عليه السلام المتقدم، والتي ترسم لنا دستوراً راقياً في التعامل والحكم وهي:

١ ـ لنرد المعالم من دينك: أي إرجاع ما ضيع من معالم الدين القويم، والتي حرفها وضيعها من ادعى الدين، والمراد هنا إرجاع المعالم الصحيحة

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٢٩.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ٢٧.

(٣) نهج البلاغة، باب الخطب – الكلام ١٣١.

للدين الإسلامي بعد ان حرفت معالمه.

٢ ـ نظهر الإصلاح في بلادك: فبعد ان استشرى الظلم والجور والتمايز والتفاضل والمحسوبيات، وعاد مرة أخرى بعد مؤامرة السقيفة، كان من واجب الإمام عليه السلام ان يظهر الإصلاح، وقوله في بلادك: أي في البلاد كلها عموماً، والبلاد الإسلامية بشكل خاص.

٣ ـ ليأمن المظلومون من عبادك: فعند اقامة العدل، وجريان الإصلاح، سيأمن المظلومون.

٤ ـ لتقام المعطلة من حدودك: بعد ان إمِن المظلومون بعد محاسبة الظالمين جراء اقامة ما عطل من الحدود، وهذا هو اساس العدل الذي اراد عليه السلام نشره، بل هذا غاية الحكم الحقيقي ودستور العدل الإنساني.

نعم، ان أمير المؤمنين عليه السلام قد «برأ ساحته من كل ما يشين وما يتدافع غيره عليه فأشهد الله وهو وحده يعلم أنه لم يكن ما كان منه في زمن من تقدمه من الخلفاء مغالبة منه لهم على الحكم ولا للحصول على أموال الدنيا وعروضها وما فيها من متاع ولكن ما كان منه إنما هو ليرد المعالم التي اختفت من الدين حيث عملت أيدي المبطلين في الحذف والتمزيق ومن أجل أن يظهر الإصلاح في بلاد الله فيأمن المظلومون من الظلم وتقام الحدود المعطلة التي كان يتشفع بأصحابها أرباب الحكم والسلطة»[1].

(١) تبيان الفصاحة في شرح نهج البلاغة، السيد عباس علي الموسوي، ص ٤١٩.

إن بين الراعي والرعية علاقة لا تنفك، علاقة من المفروض انها قائمة على التفاهم المتبادل وضمن تعاقد بين الطرفين له شروطه وكل واحد منها محتاج إلى الآخر في صدق العنوان عليه فلا قائد بلا شعب، ولا يمكن للشعب ان يكون بلا قائد، كما وان لكل واحد واجبات وعليه بالمقابل حقوق ليؤديها.

يقول عليه السلام بهذا الصدد ما نصه: «ايها الناس... انما انا رجل منكم.. لي ما لكم، وعلي ما عليكم، وإن حاملكم على منهج نبيكم، ومنفذ فيكم ما أمرت به.. الا ان كل قطيعة اقطعها عثمان وكل مال اعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال... فان الحق لا يبطله شيء. ولو وجدته قد تزج به النساء، وملك الاماء، وفرق في البلدان لرددته فان في العدل سعة، ومن ضاق عيه الحق فالجور عليه اضيق.. ايها الناس.. الا يقولن رجال منكم غدا ـ قد غمرتهم الدنيا فامتلكوا العقار، وفجروا الانهار، وركبوا الخيل، واتخذوا الوصائف المرققة ـ اذا ما منعتهم ما كانوا يخوضون فيه واصرتهم الى حقوقهم التي يعملون (حرمنا ابن ابي طالب حقوقنا) الا وايما رجل من المهاجرين والانصار من اصحاب رسول الله يرى ان الفضل له على سواه بصحبته فان الفضل غدا عند الله، وثوابه واجره على الله.. الا وايما رجل استجاب لله ولرسوله فصدق ملتنا ودخل ديننا واستقبل قبلتنا فقد استوجب حقوق الاسلام وحدوده. فانتم عباد الله، والمال مال الله، يقسم بينكم بالسوية، ولا فضل فيه لاحد على احد،

وللمتقين عند الله احسن الجزاء. فاذا كان الغد فاغدوا علينا ان شاء الله، ولا يتخلفن أحد منكم. من أهل العطاء»[١].

يوضح عليه السلام الدستور العام للراعي وكيف يسير في رعيته وأي نهج ينتهج معها. فإن الراعي هو بمثابة الأب للرعية «وجعل الوالي منكم بمنزلة الوالد من الوالد»[٢]، في جانب الارشاد للرعية والحرص عليها وقيادتها بما يوافق كتاب الله وسنة نبيه.

أما وفي شأن السير بحوائج الرعية، وقضاء امورها، ورعايتها ومداراتها فهنا يكون الدور «بمنزلة الولد من الوالد...»[٣]، فلا بد ان يسهر على راحة الآمة كسهر الوالد على راحة والديه، وان يسعى في قضاء حوائجهم ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

فإذا فعل ذلك «وجبت عليكم طاعته، بما وافق الحق، ونصرته على سيرته، والدفع عن سلطان الله»[٤].

أي وجب على الرعية طاعته، بما وافق الحق، وكذلك نصرته على حسن سيره فيهم بالعدل وبالدفع عن سلطان الله تعالى.

وعلى الوالي ان لا يحتجب عن رعيته، لأن الرعية بحاجة اليه في كل

(١) شرح نهج البلاغة، ج ٧، ص ٣٦- ٣٧، ونقله الطوسي في الأمالي، ص ٧٢٩.
(٢) وقعة صفين، المنقري، ص ١٢٦.
(٣) م، ن، ص ١٢٦.
(٤) م. ن، ص ١٢٦.

لحظة وفي كل حين، فهو الموجه والراعي لهم، وليس هو متسلط ومتجبر عليهم.

قال عليه السلام: «ايما والٍ احتجب عن حوائج الناس احتجب الله عنه يوم القيامة وعن حوائجه، إن أخذ هدية كان غلولاً، وإن أخذ الأجرة فهو مشرك»[١].

ثم بعد ذلك يبين عليه السلام أفضل عباد الله تعالى، وأفضل الحُكام عند الله تعالى ليوضح للأمة حقيقة الحكم والحاكم بعد أن انحرف مدعوا الخلافة عن جادة الإسلام الحقيقي، وجعلوا حكومة الناس سلطوية وكسروية ابتدعوها.

يقول عليه السلام: «ان أفضل عباد الله عند الله إمام عادلٌ، هُديَ وهَدي، فأقام سنة معلومة، وأمات بدعة مجهولة، وإن السنن لنيرة، لها أعلام، وإن البدع لظاهرة، لها أعلام، وإن شر الناس عند الله إمامٌ جائر ضَل وضُل به، فإمات سنة مأخوذة، وأحيا بدعة متروكة.

وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر فيلقى في نار جهنم، فيدور فيها كما تدور الرحى، ثم يرتبط في قعرها»[٢].

أحاديث كثيرة وطويلة لدستور العدالة العلوي، ذلك الدستور الذي

(١) وسائل الشيعة، الحر العاملي، باب ٥، ح١٠.
(٢) شرح نهج البلاغة، ج٧، ص٣٠.

يجعل من الإنسان قيمة عليا، ويعمل بالسوية، والذي يضع نصب عينيه ان البشر سواسية أمام الخالق تعالى.

دستور العدالة العلوي ينطلق من انسانية الإنسان، لا يُغفل عبودية المخلوق للخالق، ويوضح ان طريق تحقيق تلك العبودية هو بالطاعة، ويبين من اين يستمد الإنسان قوانينه وشرائعه وتعاليمه، انه يستمدها من التعاليم التي جاء بها النبي الأكرمﷺ «واقتدوا بهدي نبيكم فانه افضل الهدي واستنوا بسنته فإنها اهدى السنن»[١]، ومن بعده من الأئمة المعصومينعليهم السلام أهل بيت النبي الكرام، وصراطه المستقيم «انظروا اهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم واتبعوا أثرهم، فلن يخرجوكم من هدى، ولن يعيدوكم في ردى...»[٢].

(١) نهج البلاغة، م١، ص ٢١٣.

(٢) نهج البلاغة، م ١، ص ١٩٠.

من هو الجدير بالخلافة والحكم

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «أيها الناس: إن أحق الناس بهذا الأمر أقواهم عليه، وأعلمهم بأمر الله فيه، فإن شَغَبَ شاغِبٌ استُعتِبَ، فإن أبى قوتل، ولعمري لئن كانت الإمامة لا تعقد حتى يحضرها عامة الناس فما إلى ذلك سبيل، ولكن أهلها يحكمون على من غاب عنها، ثم ليس للشاهد أن يرجع ولا للغائب أن يختار، ألا وإني أقاتل رجلين: رجلاً ادّعى ما ليس له، وآخر منع الذي عليه»[1].

أقواهم عليه: أي أقدرهم عليه.

شغب: من الشغب، وهو تهييج الفساد.

استعتب: طلب منه الرضى بالحق.

إن الجدير بحكم الأمة هو الأقدر على أمورها، والأعلم بشرع الله تعالى، فلو أثار أحدهم الشغب فساداً وإفساداً طلب منه الخضوع للحق والرضى به، فإن أبى ذلك كان قتاله حينها واجباً.

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٧٣.

يوضح عليه السلام أمراً مهماً؛ انه من المستحيل جعل شرط عقد إمامة الأمة ـ أي الحكم ـ بحضور جميع الأمة. لكن أهلها ـ المؤهلين للحضور ـ يكونون حاكمين بدل من غاب عن أمر عقدها.

وهنا، فمن شهد، وبالتالي سكت اقراراً، لا يحق له ان يرجع عن البيعة، كما ولا يحق للغائب ان يختار غيرها تعذراً وتحججاً بعدم الحضور.

إن الأمام علي عليه السلام، بما انه الإمام الحقيقي والحاكم الجامع لشرائط الحكم الإلهي، يقول بأنه وفي هذا الأمر ـ عموماً ـ لا يقاتل إلا رجلين هما:

الأول: رجل ادعى ما ليس له: وهذا المدعي يجب أن يقاتل كونه مبتدع ادعى ما ليس له، وقتاله خوفاً من اضلاله وتضليله للأمة.

الثاني: رجل منع الذي عليه: من منعه للحق والحقوق، أو منعه لحق الإمام العادل بالحكم.

أما عن واجب الحاكم الحقيق، فيقول عليه السلام: «فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولايتكم التي إنما هي متاع أيام قلائل، يزول منها ما كان كما يزول السراب أو كما يتقشع السحاب، فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق واطمأن الدين وتنهنه»[1].

(١) نهج البلاغة، الرسالة ٦٢.

ثلماً: أي خرقاً.

زاح: ذهب.

زهق: خرجت روحه ومات، مجاز عن الزوال التام.

تنهنه: أي كف وارتاح، من التنهنه وإخراج الحسرات ارتياحاً، والتنهنه هو الزفير الخارج من الرئة.

الإمام عليه السلام يقول: فخشيت ان لم اتصدَ لإمامة الأمة ونصرة الإسلام من خلال التصدي للخلافة، أن ارى في الإسلام ثلماً فوق ما ثلم منه كالذي وقع في مؤامرة السقيفة.

وحينها تكون المصيبة على الإمام علي عليه السلام أعظم، كونه مُسائل من قبل الله تعالى، إذ هو الإمام الحق لهذه الأمة من قبل الله تعالى شاءت الأمة أم أبت.

فكان الواجب هو الذي نادى الإمام عليه السلام وليس خوف فوت الولاية، التي هي ايام قلائل، طالت أم قصرت.

فنهض عليه السلام بأمور الأمة، فزاح الباطل الذي راكمه الثلاثة قبله، وبالخصوص عثمان بن عفان الذي جعل من الإسلام ومقدراته وراثة لآل أمية فقط.

وكان عليه السلام بتصديه المبارك ان اطمأن الدين وارتاح، كارتياح المتنهنه بعد طول تعب واختناق.

ثم انه عليه السلام يبين أمراً مهماً جداً على البشرية جمعاء الالتفات له وهو قوله: «... لا بد للناس من أمير بر أو فاجر، يعمل في إمرته المؤمن، ويستمتع فيها الكافر، ويُبلغُ الله فيها الأجل، ويجمع الفيء، ويقاتل به العدو، وتأمن به السبل، ويؤخذ به للضعيف من القوي، حتى يستريح بر، ويُستراح من فاجر»[1].

هنا يراد من (اللابدية) أي (لابدية) وجود نظام حاكم يحتكم إليه، إذ ان الحاكم والأمير وجه أو رمز لذلك النظام الحاكم، ونظام الحكم: أي وجود نظام يُحكم من خلاله، أي دستور حكم خاص.

فالأمة ـ مهما كانت ـ لا بد لها من حاكم براً كان أو فاجراً يسوس أمورها، ويقودها؛ ليوفر لها المعايش والأعمال، ويجمع الفيء، ويقاتل أعدائها.

وكذلك لا بد من وجوده لتأمن به السبل، ويحاكم في ظلها الظالم ن ويُدافع فيها عن المظلوم، فيستريح البر فيها إذ لا أذية تأتي منه، ويستراح من الفاجر كونه يسعى للفجور بكل صورة.

(فالمجتمع لا تدار شؤونه من غير حكومة. وحتى لو انعدمت الحكومة الصالحة، فإن حكومة الفاجر خير من عدم الحكومة؛ وذلك لأن انعدام الحكومة يؤدي إلى الفوضى وفقدان الأمن، وتتلاشى عند ذاك الظروف

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٤٠.

الكفيلة بالنمو والتكامل المادي والمعنوي. فالحكومة التي يرأسها اهل الفسق والفجور، اذا وفرت الأمن للناس، افضل من عدم الحكومة. والمجتمع الفاقد للحكومة لا يحقق أي نجاح... ففي ظل وجود الحكومة وتوفر الأمن يؤدي المؤمن واجباته ووظائفه ويطوي سيره التكاملي... فقد قضت الحكمة الإلهية ان يستمتع المؤمنون والكفار بنعم الله في الدنيا...)[١].

(١) النظرية الحقوقية في الإسلام، الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي، ج٢، ص ٢٨.

المحتويات

مقدمة المركز ٥

المقدمة ٧

الإمامة ٩

أولاً: الإمامة لغة واصطلاحا ٩

ثانيا: الإمامة وإكمال الدين وإتمام النعمة ١١

النص على الإمام ١٥

الإمامة لطف ١٩

أُسس مهمة على طريق فهم الإمامة ٢٥

أولاً: حدود الإمام المستحق للإمامة ٢٥

١ـ العصمة ٢٧

٢ـ أن يكون أعلم الناس ٢٧

٣ـ أن يكون أشجع الناس ٢٨

٤ـ أن يكون أسخى الناس ٢٨

ثانيا: صفات الإمام ٢٩

فالصفات التي في نعت نفسه هي ٣١
أما صفات ذاته فهي ٣١
علم الإمام..... ٣٦
أفضلية الإمام..... ٤٣
شبهات أثيرت على الإمامة..... ٤٩
العصمة ٥٣
أولاً: العصمة لغة واصطلاحاً ٥٣
ثانيا: أهمية العصمة ووجوبها عقلاً ٥٥
ثالثا: أنحاء وأقسام العصمة ٥٦
ما هي مؤهلات المعصوم..... ٥٨
أولاً: الاصطفاء ٥٨
ثانيا: العصمة ٥٩
ثالثا: المنصب (منصب الإمامة الإلهية) ٦٠
شبهات حول العصمة..... ٦٢
ما بين الإمامة والخلافة ٦٥
أولاً: الخلافة لغةً واصطلاحاً ٦٥
ثانيا: الخلافة في القرآن الكريم ٦٦
ثالثا: الخلافة في الأحاديث ٦٩

رابعا: الإمامة والخلافة عند أهل السنة ٧٢
خامسا: الإمامة والخلافة عند الشيعة ٧٢
ما هي الخلافة الحقيقية..... ٧٥
أولاً: الحق الذي على راعي الأمة ٧٦
ثانيا: الحق الذي على الرعية ٧٧
ثالثا: ملامح ما لو تمت العلاقة ٨٠
رابعا: ملامح ما لو انفرطت العلاقة ٨٠
خامسا: أسس مهمة ٨٢
من هو الجدير بالخلافة والحكم..... ٨٨
المحتويات ٩٣